عمائر القاهرة الدينية فى العصر العثمانى

٩٢٣ ـ ١٢١٣ هـ / ١٥١٧ ـ ١٧٩٨ م

« دراسة تحليلية مقارنة للتخطيط وأصوله المعمارية »

دكتور

محمد حمزة إسماعيل الحداد

المدرس بكلية الآثار ـ جامعة القاهرة

عمائر القاهرة الدينية فى العصر العثمانى (*)
٩٢٣ - ١٢١٣ هـ / ١٥١٧ - ١٧٩٨ م

استطاع السلطان العثمانى سليم الأول فى المحرم سنة ٩٢٣ هـ / يناير ١٥١٧ م ، أن يقضى على السلطنة المملوكية ، وبذلك فقدت مصر استقلالها ، وهبطت مكانتها من دولة مستقلة كاملة السيادة إلى ولاية عثمانية ، أى أنها أصبحت تابعة بعد أن كانت متبوعة ، كذلك خسرت مصر زعامة العالم الإسلامى بعد أن انتقل مركز الخلافة من القاهرة إلى استانبول .

ولن نتعرض هنا لدراسة خصائص الحكم العثمانى وأحوال المجتمع المصرى فى ذلك العصر [١] إلا بالقدر الذى يساعدنا فى رسم صورة واضحة المعالم لحركة البناء والتعمير التى شهدتها مدينه القاهرة من جهة ، وفى معرفة العوامل المختلفة التى كانت وراء احتفظ العمارة المصرية الإسلامية بطرازها المحلى الموروث من جهة أخرى – ذلك الطراز الذى شُيدت على أساسه غالبية العمائر التى لا تزال باقية بالقاهرة حتى الآن ، فضلا عن غيرها من المدن والقرى المصرية فى الوجهين القبلى والبحرى .

وإذا استعرضنا العمائر الأثرية الباقية بمدينة القاهرة التى شُيدت إبّان العصر العثمانى ، والتى لا تزال تحتفظ بمعالمها الأصلية إلى حد كبير ، أمكننا تقسيمها

(*) هذا البحث ماهو إلّا الجزء الأول من بحث كبير عن « العمارة الإسلامية فى القاهرة إبّان العصر العثمانى » كان قد ألقى ضمن محاضرات الموسم الثقافى ١٩٩١/٩٠ م للجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، وذلك يوم الأحد الموافق ١٩٩١/٢/٢٤ م ، وبمشيئة الله تعالى سوف تنشر بقية أجزاء هذا البحث على مراحل متتالية .

(١) عن خصائص الحكم العثمانى وأحوال المجتمع المصرى فى ذلك العصر انظر :

حسن عثمان : تاريخ مصر فى العهد العثمانى – ضمن كتاب المجمل فى التاريخ المصرى – الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٤٢ م ، ص ٢٤٧ – ٢٨٤ .

وتوفيق الطويل : التصوف فى مصر إبّان العصر العثمانى ، الطبعة الأولى ١٩٤٦ م ، ص ١٩ – ٣٢ .

وعبد العزيز الشناوى : دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر إبّان الحكم العثمانى ، ضمن أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، الجزء الثانى ، القاهرة ١٩٧١ م ، ص ٦٦٧ – ٦٧٨ .

وعبد الرحيم عبد الرحمٰن : الحياة الاجتماعية فى مدينة القاهرة إبّان العصر العثمانى ، مستخرج من مجلة كلية الدراسات الإنسانية ، جامعة الأزهر العدد الرابع ١٩٨٦ م ، ص ٢٣١ – ٢٦٧ .

وليلى عبد اللطيف : المجتمع المصرى فى العصر العثمانى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٧ م ، ص ١٥ – ٢٤٢ .

إلى ما يلى [1] :

١ – الجوامع : يبلغ عدد الجوامع التى لا تزال باقيه بحالتها الأصلية نحو خمسة وثلاثين جامعًا ، منها تسعة وعشرون جامعًا بُنيت وفق الطراز المصرى الإسلامى الموروث ، وستة جوامعُ بُنيت وفق الطراز العثمانى الوافد .

٢ – الزوايا : يبلغ عدد الزوايا التى لا تزال باقية بحالتها الأصلية نحو ست زوايا بُنيت وفق الطراز المصرى المحلى .

٣ – المدارس : لم يتبق منها سوى مدرستين بُنيتا وفق الطراز العثمانى الوافد .

٤ – القباب والمدافن : يبلغ عدد القباب والمدافن الباقية – المعروفه حتى الآن – نحو ست وخمسين قُبة ومدفنًا منها ست وثلاثون بنيت وفق الطراز المصرى المحلى ، وعشرون قبة ومدفنًا بُنيت وفق الطراز العثمانى الوافد .

٥ – الأسبلة : يبلغ عدد الأسبلة الباقية – المعروفة حتى الآن – نحو ثمانين سبيلا ، منها ثلاثة وسبعون سبيلا بُنيت وفق الطراز المصرى المحلى ، وسبعة أسبلة بنيت وفق الطراز العثمانى الوافد .

٦ – أحواض سقى الدواب : يبلغ عدد الأحواض الباقية – المعروفه حتى الآن – نحو ثلاثة أحواضُ بُنيت وفق الطراز المصرى المحلى .

٧ – مكاتب الأيتام : يبلغ عدد المكاتب الباقية – المعروفه حتى الآن – نحو ثمانية وخمسين مكتبًا ، منها خمسون مكتبًا تعلو خمسين سبيلاً من أسبلة الطراز المصرى المحلى ، وسبعة مكاتب تعلو أسبلة الطراز العثمانى الوافد ، ومكتب واحد مستقل لا يعلو شيئًا ، وهو المكتب الملحق بجامع سليمان باشا المعروف بجامع سارية الجبل بالقلعة ، وقد بُنى وفق الطراز العثمانى الوافد .

٨ – الحمامات : يبلغ عدد الحمامات الباقية ، المعروفه حتى الآن ، نحو ثمانى حمامات بُنيت وفق الطراز المصرى المحلى .

---

(١) اعتمدت فى إعداد هذه الإحصائية المفصلة على ماهو مسجل بفهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة ، وما أمكن إضافته – حتى الآن – إلى قائمة هذا الفهرس من خلال الزيارات الميدانية المتعددة للعمائر الأثرية المتنشرة فى شتى أرجاء القاهرة ، فضلاً عن بعض الدراسات الأثرية الحديثة .

ونضيف على ما تقدم فنذكر أن بعض العمائر المسجلة بالفهرس قد هُدِمَت أو جُددت تمامًا ، والبعض الآخر لم يتبق منه سوى مئذنة أو بوابة أو واجهة ، فى حين أنه لا تزال توجد بالقاهرة عمائر أخرى عديدة ينبغى أن تسجل وتدخل فى عداد الآثار الإسلامية لما لها من قيمة تاريخية وأثرية ، ومعظمها يرجع إلى العصر العثمانى وعصر محمد على وأسرته ، ولذلك يجب وضع فهرس آخر جديد يعالج أوجه النقص والقصور فى الفهرس القديم .

٩ - الدور والمنازل : يبلغ عدد الدور والمنازل الباقية - كلها أو بعضها ، والمعروفة حتى الآن - نحو واحد وثلاثين دارًا ومنزلاً بُنيت وفق الطراز المصرى المحلى .

١٠ - الوكالات : يبلغ عدد الوكالات الباقية - كلها أو بعضها ، والمعروفة حتى الآن - نحو ست عشرة وكالة بنيت وفق الطراز المصرى المحلى .

نخلص مما تقدم إلى أن عدد العمائر الباقية بمدينة القاهرة ، والتى ترجع إلى العصر العثمانى ، يصل إلى مائتين وخمسة وتسعين أثرًا ، منها مائتان واثنان وخمسون أثرًا بنيت وفق الطراز المصرى المحلى الموروث ، وثلاثة وأربعون أثرًا بنيت وفق الطراز العثمانى الوافد ، وعلى ذلك تكون الآثار المشيدة وفق ذلك الطراز الوافد بنسبة تقرب من ٦٠ر١٤٪ [1] .

هذا وقد كان استمرار الطراز المصرى المحلى إبّان العصر العثمانى نتاج عدة عوامل تضافرت معًا فى الإبقاء على ذلك الطراز ، وقد انبثقت بعض هذه العوامل من خلال ما يمكن أن يُطلق عليه اسم فلسفة الحكم العثمانى ، فقد ساهمت سياسة العثمانيين - وهى الخاصة بإبقاء الأوضاع على ماهى عليه - فى محافظة المجتمع المصرى على طابعه العربى الإسلامى وسماته الرئيسية وتقاليده وأعرافه ومعتقداته المختلفة [2] ، وهذا يعنى أن العثمانيين لم يفرضوا ذوقًا أو طرازًا معماريًا خاصًا بهم ، ومِنْ ثَمَّ احتفظت العمارة المصرية الإسلامية بطابعها المحلى الموروث .

---

(١) ذكرتُ فى بحث سابق أن عدد العمائر الباقية بمدينة القاهرة التى ترجع إلى العصر العثمانى يصل إلى مائتين وعشرين أثرًا ، منها مائة وتسعة وثمانون أثرًا بنيت وفق الطراز المصرى المحلى الموروث ، وواحد وثلاثون أثرًا بنيت وفق الطراز العثمانى الوافد ، وعلى ذلك تكون الآثار المشيدة وفق ذلك الطراز الوافد بنسبة ١ر١٤٪ .

انظر : محمد حمزة إسماعيل الحداد : الطراز المصرى لعمائر القاهرة الدينية خلال العصر العثمانى - رسالة دكتوراه غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٩٠ م - ص ٢١ - ٢٢ .

وعلى ذلك نكون قد أضفنا فى هذا البحث إلى الإحصائية القديمة نحو خمسة وسبعين أثرًا منها ثمانية وخمسون مكتبًا للأيتام ، وسبع قباب ، وخمسة حمامات ، وزاوية واحدة ، وأربعة أسبلة .

ونأمل فى الأبحاث المقبلة - بمشيئة الله تعالى - إضافة المزيد إلى تلك الإحصائية الجديدة ، وذلك بعد أن نقوم بمسح أثرى شامل لمدينة القاهرة بشوارعها وحواريها وأزقتها ودروبها وعطفها ، فضلا عن القرافة .

(٢) عبد العزيز الشناوى : المرجع السابق ، ص ٦٦٧ - ٦٦٨ .

محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ، القاهرة ١٩٨٥ م ، ص ١٤٢ .

ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ١٠ .

وتتصل بعض العوامل الأخرى بطبيعة الطراز المصرى والعمق الحضارى الكبير لذلك الطراز الذى ارتبط فى نشأته بعوامل البيئة المحلية وتطور فى خلال ستة قرون – فيما بين العصرين الفاطمى والمملوكى – تطورًا كبيرًا ، حتى اكتسب شخصيته المستقلة وطابعه المميز ، وأصبح ذلك الطراز جزءًا لا يتجزأ من الحياة المصرية العامة (١) ، ومن ثم كان من الصعب على الطراز العثمانى الوافد أن يتغلب ويتفوق على ذلك الطراز الموروث ، ولا سيما أن طبيعة ذلك الطراز الوافد لا تتناسب مع طبيعة البيئة المصرية .

كذلك كان لطوائف الحرف المتعلقة بالبناء وفنونه أثر كبير فى استمرار الطراز المحلى ، حيث لم تتخل تلك الطوائف عن مصريتها وطابعها المعمارى الموروث الذى حافظت عليه فى ضوء ما سمحت به ظروف العصر وإمكانياته .

هذا وقد حكم مصر خلال القرون الثلاثة نحو مائة وتسعة وعشرين واليًا ، منهم ستة وعشرون واليًا حكموا خلال القرن ١٠ هـ / ١٦ م وثمانية وأربعون واليًا حكموا خلال القرن ١١ هـ / ١٧ م ، وخمسة وخمسون واليًا حكموا خلال القرن ١٢ هـ / ١٨ م (٢) .

وقد كان لاختلاف مدة حكم هؤلاء الولاة ومدى نفوذهم أثر كبير فى حركة البناء والتعمير التى شهدتها مدينة القاهرة إبّان العصر العثمانى ، فبينما اتسمت الفترة الأولى من الحكم العثمانى ، وهى الممتدة من بدايته حتى أواخر القرن ١٦ م ، بطول فترة حكم هؤلاء الولاة وبقوة نفوذهم وعظم مكانتهم ، مما أتاح لهم الفرصة لإقامة العمائر المختلفة ، ووقف الأوقاف الكثيرة المغلة عليها ، وهذا هو ما تؤكده الوثائق المختلفة والعمائر الباقية التى ترجع إلى هذه الفترة ، حيث أمر ببنائها الباشوات العثمانيون ، ومنهم سليمان باشا ، وخسرو باشا ، وداود باشا ، ومحمود باشا المقتول ، وسنان باشا ، ومسيح باشا ، وحسن باشا ، وغيرهم .

---

(١) عن نشأة الطراز المصرى الإسلامى فى العمارة الإسلامية ومراحل تطوره المختلفة انظر :
محمد حمزه إسماعيل الحداد : المرجع السابق ، ص ٢ – ١٩ .

(٢) عن أسماء هؤلاء الولاة ومدة حكم كل منهم انظر :
ليلى عبد اللطيف : الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى ، مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٧٨ م ، الملحق رقم ١ ، ص ٤٣١ – ٤٣٦ .

أما الفترة الثانية ، وهى الممتدة من أواخر القرن ١٦ م حتى أواخر القرن ١٨ م ، فقد اتسمت بقصر فترة حكم الولاة ، ولم يدم حكم أطولهم مدة عن خمسة أعوام ، فضلًا عن ضعف نفوذهم وقلة هيبتهم ، ومن ثم انصرف غالبيتهم عن البناء والتعمير [1] ، وهذا هو ما تؤكده غالبية العمائر الباقية التى ترجع إلى هذه الفترة ، حيث أمر ببنائها كبار الأمراء ، وهو الأمر الذى يعكس مدى ما تمتع به هؤلاء الأمراء من قوة ونفوذ وسيطرة على مقاليد الأمور فى مصر ، ومن ثم حرصوا على بناء العمائر المتنوعة الأغراض ، ما بين دينية ومدنية وجنائزية ، ووقف الأوقاف المُغِلَّة عليها ، ومن بين هؤلاء الأمراء نذكر كُلًّا من يوسف الجين ، وعلى بيك أمير اللواء ، ومحمد بيك تغرى بردى ، ومحمد كتخدا مستحفظان ، وذو الفقار بك ، ورضوان بيك ، ومصطفى جوربجى ميرزه ، وعثمان كتخدا ، وأحمد كتخدا الخربوطلى ، وعبد الرحمن كتخدا ، ويوسف جوربجى ، وعثمان أغا ، وعلى أغا كتخدا الجاويشيه ، فضلا عن على بيك الكبير ، ومحمد بيك أبو الذهب ، وغيرهم .

ويضيق بنا المقام لو أردنا أن نتناول بالتفصيل كل مميزات العمارة الإسلامية فى القاهرة العثمانية ، ولذلك سوف نكتفى فى هذا البحث بدراسة العمائر الدينية ، من حيث طرازها المعمارى وتخطيطها فحسب ، مع تتبع أصول هذا الطراز وذلك التخطيط ، سواء فى مصر أو تركيا ، ومقارنة ذلك ببعض العمائر الدينية المعاصرة فى البلاد العربية .

١ – الجوامع : نستطيع أن نميز بين طرازين شاع استخدامهما فى تخطيط جوامع القاهرة فى العصر العثمانى ، أولهما – وهو الأغلب : الطراز المصرى المحلى الموروث . وثانيهما : الطراز العثمانى الوافد .

ونستعرض فيما يلى المميزات العامة والخصائص الرئيسية لكل طراز منهما على حدة . الطراز الأول : الجوامع المصممة وفق الطراز المصرى المحلى :

---

(١) يستثنى من هؤلاء بعض الباشوات الذين أمروا بإنشاء – أو تجديد أو إضافة – بعض العمائر ، ومنهم محمد باشا الشريف ، وعلى باشا السلحدار ، وحسن باشا ، ومحمد باشا الصوفى ، وبيرم باشا ، ومحمد باشا أبو النور ، وإبراهيم باشا ، وحمزة باشا – من ولاة القرن ١١ هـ / ١٧ م ، وأحمد باشا ، وإسماعيل باشا ، وقرة محمد باشا ، وعلى باشا الإزميرلى ، وعبد الله باشا الكبورلى ، ومحمد باشا عزت – من ولاة القرن ١٢ هـ / ١٨ م .

وهو الطراز السائد والأغلب خلال العصر العثمانى ، حيث يقدر عدد الجوامع الباقية المصممة وفق ذلك الطراز نحو تسعة وعشرين جامعًا ، كما سبق القول .

ويمكن أن نحصر تخطيطات هذه الجوامع فى ثلاثة أنواع رئيسية ، وذلك على النحو التالى :

النوع الأول : التخطيط ذو الأروقة حول صحن أو درقاعة (١) .

النوع الثانى : التخطيط ذو الأروقة دون الصحن أو الدرقاعة .

النوع الثالث : التخطيط ذو الإيوانات حول صحن أو درقاعة .

ونستعرض فيما يلى كل نوع من هذه الأنواع على حدة ، وذلك على النحو التالى :

النوع الأول : التخطيط ذو الأورقة حول صحن أو درقاعة :

يتكون هذا النوع من التخطيط من صحن أو درقاعة وسطى مُغطاة يحيط بها أربعة أروقه ، أكبرها وأعمقها رواق القبلة ، ويتكون من مساحة مستطيلة تشتمل على بائكتين أو ثلاث بائكات تسير موازية لجدار القبلة ، أما الأروقة الثلاثة الأخرى فيشتمل كل رواق منها على بائكة واحدة .

---

(١) المعروف ، حتى الآن ، بين جمهرة الآثاريين أن الصحن هو الفناء المكشوف ، والدرقاعة هى الفناء المُغطى ، إلا أنه يتضح – من خلال ما ورد فى المصادر التاريخية ووثائق الوقف المختلفة ومقارنة ذلك بالعمائر الباقية – أنه لم يكن هناك فرق كبير بين كل من المصطلحين ؛ فبعض الأفنية المكشوفة الكبيرة أُطلق عليها فى الوثائق والمصادر مصطلح الدرقاعة ، كما هو الحال فى كل من قلاوون ، والسلطان حسن ، وبرقوق ، وبرسباى ، والمؤيد شيخ ، وغيرها . وفى المقابل أطلق على بعض الأفنية المغطاة مصطلح « الصحن » كما هو الحال فى كثير من عمائر العصرين : المملوكى والعثمانى . كذلك أُطلق على بعض المجازات أو الاستطراقات الأرضية المستطيلة مصطلح الدرقاعة أيضًا كما هو الحال فى خانقاة برسباى بالقرافه (صحراء المماليك) ومدرسة جانم البهلوان بالسروجيه ، وجامع المحموديه بميدان صلاح الدين أسفل القلعه وغير ذلك .

المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية . ط ٢ . القاهرة ١٩٨٧ . جـ ٢ ، ص ٣١٦ . محمد سيف النصر : مدرسة المنصور قلاوون : دراسة جديدة فى ضوء وثيقة جديدة . (مجلة كلية الآداب – جامعة صنعاء – العدد الأول – ١٩٨٤ م) .

وثائق وقف كل من : برقوق (رقم ٥١ محفظة ٨ بدار الوثائق القومية (محكمة) ، برسباى (أوقاف : ٨٨) ، المؤيد شيخ (أوقاف ٩٣٨) ... وغير ذلك .

وقد اتبع هذا التخطيط فى كل من جامع الأمير مصطفى جوربجى ميرزه (ببولاق) ١١١٠ هـ / ١٦٩٨ م ، وجامع الأمير عثمان كتخدا المعروف بجامع الكيخيا (بالأوبرا) ١١٤٧ هـ / ١٧٣٤ م ، وجامع الفكهانى (العقادين) ١١٤٨ هـ / ١٧٣٥ م وجامع السادات الوفائية (بالتونسى) ١١٩١ - ١١٩٩ هـ / ١٧٧٧ - ١٧٨٤ م (شكلا ١ - ٢) .

وعند تأصيل هذا النوع من التخطيط نجد أنه يمثل التخطيط التقليدى الشائع للمساجد الجامعة فى العمارة الإسلامية التى اتخذت تخطيط مسجد الرسول ﷺ نموذجًا رئيسيًا لها ، وترجع أقدم الأمثلة الباقية لهذا التخطيط فى مصر إلى العصر الطولونى ، كما هو الحال فى جامع أحمد بن طولون ٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م ، ثم اتبع فى تخطيط جوامع القاهرة الفاطمية ، وفى العصر المملوكى انتشر انتشارًا كبيرًا ، كما هو الحال فى كل من جامع الظاهر بيبرس ، وجامع الناصر محمد بالقلعة ، وجامع الماس الحاجب ، وجامع الطنبغا الماردانى ، وجامع آق سنقر الناصرى ، المعروف بالجامع الأزرق ، من عصر المماليك البحرية .

وكل من جامع المؤيد شيخ ، وجامع القاضى يحيى ببولاق ، وجامعه الآخر بالحبانية ، وجامع لاجين السيفى وجامع الونائى ، وجامع ابن برد بك ، وجامع سلطان شاه من عصر المماليك الجراكسة أو البرجية .

وإذا كانت الجوامع السابقة تكاد تتفق مع بعضها فى التخطيط العام وفى المميزات الرئيسية فإنها تختلف فيما بينها من حيث التفاصيل ، فلكل جامع منها سمات مستقلة قائمة بذاتها .

هذا ولم يقتصر هذا التخطيط على الجوامع فحسب ، بل صُممت على أساسه بعض المدارس أيضًا ، ومن أمثلتها الباقية المدرسة الأقبغاوية (بالأزهر) ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م ، ومن الملاحظ أن صحن المدرسه الأقبغاوية مغطى مثل صحون الجوامع العثمانية المصممة وفق هذا التخطيط ، والسابق الإشارة إليها ، أما بقية الجوامع الأخرى المشار إليها فالصحن فيها مكشوف [1] . (شكل ٣) .

---

(١) محمد حمزة : المرجع السابق ، ص ٦٨٤ - ٦٨٦ .

النوع الثانى : التخطيط ذو الأروقة دون الصحن أو الدرقاعة :

يتكون هذا النوع من التخطيط من مساحة مستطيلة أو مربعة تُقسم إلى أروقة بواسطة عدد من البائكات تسير موازية لجدار القبلة ، أو عموديه على ذلك الجدار .

ويُعد هذا التخطيط أكثر أنواع التخطيطات شيوعًا وانتشارًا خلال العصر العثمانى ، حيث يبلغ عدد الجوامع الباقية المصممة وفق ذلك التخطيط نحو سبعة عشر جامعًا .

ويمكن أن نحصر نماذج هذا التخطيط فى ثلاثة أنماط ، وذلك على النحو التالى :

النمط الأول : وهو عبارة عن مساحة مستطيلة قُسمت إلى أربعة أروقة بواسطة ثلاث بائكات تسير موازية لجدار القبلة ، كما هو الحال فى كل من جامع محرم أفندى ، المعروف بجامع الكردى (بسويقة اللالا) ١١٣٦ هـ / ١٧٢٣ م ، وجامع العريان (بباب البحر) (شكل ٤) ١١٧١ – ١١٧٣ هـ / ١٧٥٧ – ١٧٥٩ م .

النمط الثانى : وهو عبارة عن مساحة مستطيلة قُسمت إلى ثلاثة أروقة بواسطة بائكتين موازيتين لجدار القبلة ، ونشاهد هذا النمط فى أحد عشر جامعًا هى كل من : جامع مراد باشا ٩٧٦ – ٩٧٩ هـ / ١٥٦٨ – ١٥٧١ م ، وجامع مسيح باشا ٩٨٣ هـ / ١٥٧٥ م ، وجامع مرزوق الأحمدى ١٠٤٣ هـ / ١٦٣٣ م ، وجامع الشيخ مطهر ١١٥٨ هـ / ١٧٤٥ م ، وجامع الغريب ١١٦٨ هـ / ١٧٥٤ م ، وجامع الشيخ رمضان ١١٧٥ هـ / ١٧٦١ م ، وجامع يوسف جوربجى ١١٧٧ هـ / ١٧٦٣ م ، وجامع البيومى ١١٨٠ هـ / ١٧٦٦ م ، وجامع العربى قبل ١١٨٣ هـ / ١٧٦٩ م ، وجامع محمود محرم ١٢٠٧ هـ / ١٧٩٢ م ، وجامع جنبلاط ١٢١٢ هـ / ١٧٩٧ م (أشكال ٤ – ٧) .

أما جامع آلتى برمق قبل ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣ م فهو وان كان ينتمى فى تخطيطه إلى هذا النمط إلا أن عقود بائكتيه تتجه عمودية على جدار القبلة ، وليست موازيه لهذا الجدار ، كما هو الحال فى النماذج السابقة الإشارة إليها .

/ ١٥٥٥ م ، وجامع سوكلو محمد فى قادرجا باستانبول ٩٨٠ هـ / ١٥٧٢ م ، وجامع عتيق الوالدة فى اسكدار (١) .

ومن نماذج الجوامع العثمانية التى تبرز فيها دخلة المحراب نذكر كُلًّا من : جامع داود باشا ، وجامع باب العزب ، وجامع لاله لى فى استانبول (٢) ، غير أنه يلاحظ أن دخلة المحراب فى هذه النماذج مغطاة بنصف قبة ، فى حين أنها مغطاة بقبة كاملة فى جامع الملكة صفية ، كما سبق القول .

النوع الثانى : التخطيط على هيئة مربع تعلوه قبة (الجامع القبة) :

يتكون هذا النوع من التخطيط فى جوهره من مساحة مربعة تعلوها قبة ، ونستطيع أن نحصر نماذج هذا التخطيط فى نمطين رئيسيين ، وذلك على النحو التالى :

النمط الأول : وهو عبارة عن مساحة وسطى مربعة تحيط بها – من الداخل – أربع دخلات صغيرة ، أعمقها وأهمها دخلة المحراب (الدخلة الجنوبية الشرقية) وتشرف هذه الدخلات الأربع على المساحة الوسطى المربعة من خلال أربعة عقود مدببة تحصر فيما بينها – أى فى كوشاتها – منطقة انتقال القبة التى تغطى المساحة الوسطى المربعة ، وهى عبارة عن أربعة مثلثات كروية – ، بواقع مثلث فى كل ركن من الأركان .

ويتقدم الجامع من الجهة الشمالية الشرقية زيادة من رواق واحد عبارة عن مساحة مستطيلة مسقوفة بسقف خشبى تلاشت أجزاء كثيرة منه الآن ، ويوجد بصدر هذا الرواق محراب صغير ، ومن الواضح أن الغرض من وجود هذه الزيادة هو استخدامها فى الصلاة فى حالة ضيق الجامع بالمصلين .

---

(١) آصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٨٢ ، ٢٠١ .
هدايت تيمور : المرجع السابق ، ص ٢١١ – ٢١٢ .
على المليجى : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ ، ٢٧٣ .
Goodwin, Op. Cit. pp. 244 - 245. 245 Fig. 93. 234.

(٢) Ibid. PP. 115, 296, 389, Fig, 107, 274, 406.

ويتجلى هذا التخطيط بوضوح فى نموذج وحيد باق ، وهو جامع أحمد كتخدا العزب (خلف باب العزب بالقلعة) ١١٠٩ هـ / ١٦٩٧ م [(١)] (شكل ١٨) .

وعند تأصيل هذا التخطيط نجد أنه عُرف فى العمارة العثمانية ، ولكن مع الأختلاف فى بعض التفاصيل ، ومن أمثلة ذلك جامع أورخان غازى فى بيلاجك ، ويرجع تاريخه إلى النصف الثانى من القرن ٨ هـ / ١٤ م [(٢)] .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا التخطيط قد عُرِفَ فى مصر فى نفس هذه الفترة وما بعدها ، ولا سيما فى بعض قباب المدافن ، ومن أمثلتها الباقية قبة مدفن الأمير صرغتمش الملحقة بمدرسته (بالصليبة) ٧٥٧ هـ / ١٣٥٦ م ، وهى تتكون من مساحة وسطى مربعة ، تحيط بها من الدخل أربع دخلات معقودة بعقد مدبب ، يتوسط الدخلة الجنوبية الشرقية منها المحراب ، أما الدخلة الجنوبية الغربية فبصدرها شباك يشرف على الشارع ، يقابله بصدر الدخلة الشمالية الشرقية باب الدخول للقبة من الإيوان الشمالى الغربى للمدرسة ، وتؤدى الدخلة الشمالية الغربية إلى رواق بارز عن سمت جدار الواجهة ، ويسقف هذا الرواق قباب ضحلة مقامة على مثلثات كروية ، ويشرف هذا الرواق على الشارع من خلال ثلاثة شبابيك فى الصدر ، وشباكين فى الجانبين بواقع شباك بكل جانب (شكل ١٩) .

وإذا كان هذا التخطيط يتفق مع تخطيط جامع أورخان فى بيلاجك من جهة فإنه من جهة أخرى يذكرنا بالتخطيط المعروف بطراز بروسه الأول ، والذى يتميز بوجود رواق أو سقيفة مغطاة بالقباب أو الأقبية ، أو بالاثنين معًا ، وتتقدم هذه السقيفة ، أو هذا الرواق ، الجامع ، كما هو الحال فى كل من جامع حاجى أوزبك

---

(١) يعتقد (البروفيسور كازانوفا) أن هذا الجامع أقيم مكان جامع آخر أقدم منه ، ويؤيد ذلك (الأستاذ حسن عبد الوهاب) فيذكر أن هذا الجامع أقيم على بقايا مصلى وسبيل السلطان المملوكى المؤيد شيخ .

كازانوفا (بول) : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ، ترجمة وتقديم د. أحمد دراج ، مراجعة د. جمال محرز ، القاهرة ١٩٧٤ م ، ص ١٨٥ .

حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ، المكتبة الثقافية ، العدد ٥٦ ، أول مارس ١٩٦٢ م ، ص ٧٤ .

(٢) Goodwin, Op. Cit, PP. 18-19, Fig, 7. ، آصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٧٠ ، على المليجى : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

(فى أزنيق) ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م ، وجامع علاء الدين بك (فى بروسه) ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م ، وغير ذلك من أمثلة سنشير إليها فيما بعد [(١)] .

ويشبه تخطيط قبة مدفن الأمير إينال اليوسفى الملحقة بمدرسته (بالخيامية) ٧٩٤ – ٧٩٥ هـ / ١٣٩١ – ١٣٩٢ م ، ولكن مع بعض الاختلاف فى التفاصيل ، تخطيط قبة الأمير صرغتمش من حيث وجود المساحة الوسطى المربعة ، والدخلات الأربع المعقودة التى تحيط بها ، غير أن قبة إينال اليوسفى لا تحتوى على الرواق البارز المسقوف الذى يتقدم مربع القبة من الجهة الشمالية الغربية [(٢)] .

وقد استمر هذا التخطيط فى بعض قباب العصر العثمانى ، ومن أمثلتها الباقية قبة الشيخ على الروبى بالفيوم ١١٢٠ هـ / ١٧١٧ م وهى تتكون من مساحة وسطى مربعة تحيط بها من الداخل أربع دخلات ، تشرف كل منها على المساحة الوسطى المربعة بائكة ذات عقدين مدببين [(٣)] .

النمط الثانى : وهو عبارة عن مساحة مربعة تعلوها قبة ضخمة (مشايخى) [(٤)] ويحيط بهذه المساحة المربعة من الخارج من ثلاث جهات – عدا جهة القبلة – ثلاث زيادات عبارة عن أروقة مغطاة بقباب ضحلة مقامة على مثلثات كروية .

ويتجلى هذا التخطيط بوضوح فى نموذجين هما : جامع سنان باشا [(٥)]

---

(١) انظر ص ١٢٦ – ١٢٧ من هذا البحث .

(٢) محمد حمزة إسماعيل الحداد : قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك ، رساله ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٨٦ م ، ص ٣٣٢ – ٣٣٥ .

(٣) سعاد ماهر : محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية فى العصر الإسلامى القاهرة ١٩٦٦ م ، ص ٧٤ .

(٤) أطلقت الوثائق هذا المصطلح على بعض القباب ، ومنها قبة جامع محمد بك أبو الدهب ، وقبه المشهد الحسينى ، وقبتا الكردى والخوّاص بالحسينية عندما قام بتجديدهما الأمير عبد الرحمن كتخدا .
حجتا الأمير عبد الرحمن كتخدا (أوقاف رقم ٤٦ ، ٩٤٤) ، حجة الأمير محمد بك أبو الدهب (أوقاف رقم ٩٠٠) .

(٥) يعد سنان باشا من أشهر وزراء آل عثمان بصفة عامة ، وولاة مصر العثمانية بصفة خاصة ، وقد تولى حكم مصر على فترتين : الأولى فيما بين ٩٧٥ – ٩٧٦ هـ / ١٥٦٧ – ١٥٦٨ م وقد توجه بعدها إلى فتح بلاد اليمن ، وبعد أن تم له الفتح رجع إلى باشوية مصر للمرة الثانية ، وكان ذلك فيما بين ٩٧٩ – ٩٨١ هـ / ١٥٧١ – ١٥٧٣ م ، وتولى بعد ذلك نيابة الشام ثم الصدارة العظمى ، وكان سنان باشا مغرمًا بالإنشاء والتعمير ، ووقف =

(بيولاق) (شكل ٢٠) ٩٧٩ هـ / ١٥٧١ م ، وجامع محمد بك أبو الدهب [١] (تجاه الجامع الأزهر) ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م (شكل ٢١) .

وعند تأصيل هذا النوع من التخطيط نجد أن جوهره ، وهو المربع الذى تعلوه القبة قد عُرف فى العمارة السلجوقية ، ويتقدم هذا المربع سقيفة أو رواق ، وتحتفظ قونية بعدد من الأمثلة الباقية ، ومنها مسجد طاش ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م ، ومسجد بشارة بك ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م ، ومسجد أردمشاه ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م ، ومسجد قره طاى الصغير ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م ، ومسجد صر جالى ، ويرجع إلى النصف الثانى من القرن ٧ هـ / ١٣ م [٢] .

= الأوقاف الكثيرة المُغلّة على عمائره المختلفة ، ومنها المساجد ، والربط ، والتكايا ، والحمامات ، والوكالات ، حتى قيل إنه لم ينشىء أحد من وزراء آل عثمان خيرات مثله ، سواء فى مصر أو الشام أو تركيا ، وغير ذلك من الثغور والبنادر ، وكانت وفاته فى سنة ١٠٠٤ هـ / ١٥٩٥ م .

انظر النهروانى (قطب الدين محمد بن أحمد) : ت ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢ م .

البرق اليمانى فى الفتح العثمانى ، تحقيق حمد الجاسر ، الطبعة الأولى الرياض ١٩٦٧ م ، ص ٤٥٥ ، ٤٥٩ - ٤٦٠ .

المحبى (محمد) :

خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر ، جـ ٢ ، مصر ١٢٨٤ هـ /١٨٦٧ م ص ٢١٤ - ٢١٦ .

الإسحاق : أخبار الأول ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

ابن الوكيل : تحفه الأحباب ، ص ١٥٨ .

ابن عبد الغنى : أوضح الإشارات ، ص ١١٦ - ١١٨ .

(١) هو الأمير محمد بك أبو الدهب ، كان مولّى من موالى الأمير على بك الكبير ، وعندما استعان أهل غزة بالأمير على بك الكبير ضد والى دمشق عثمان باشا ، فما كان من على بك إلا أن جهز الأمير محمد بك أبو الدهب للركوب على الوزير العثمانى والانتقام منه ووصل أبو الدهب بعساكره إلى دمشق يوم الأثنين ١٩ صفر ١١٨٥ هـ / ١٧٧١ م ، وتطورت الأحداث بعد ذلك ، وانقلبت الآية ، فخرج أبو الدهب على مولاه على بك وقتله ، واستقل بالأمر فى مصر إلى أن مات مسمومًا ودُفن بالمدفن الذى أعد بجامعه تجاه الجامع الأزهر ، وقد عرف هذا الجامع واشتهر باسم المدرسة المحمدية ، وكانت به مكتبة من أعظم المكتبات فى العصر العثمانى ، ويذكر (الجبرتى) أن هذا الجامع قد بنى على أرنيك جامع السنانية ببولاق ، وهذا قول حق ، ولكن مع بعض الاختلاف فى التفاصيل .

المرادى (السيد محمد خليل أفندى المرادى مفتى دمشق) :

سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر ، المجلد الأول ، بولاق ١٣٠١ هـ / ١٨٨٣ م ، ص ٥٤ - ٥٧ .

الجبرتى (عبد الرحمٰن) :

عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ ١ ، طبعة دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٤٨٠ - ٤٨٥ .

(٢) أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٩٠ - ٩١ ، تخطيط رقم ١٨ - ١٩ .

واستمر هذا النوع من التخطيط فى العمارة العثمانية ، وقد اشتهر وعرف باسم طراز بروسه الأول ، على الرغم من أنه قد ساد وانتشر فى العديد من المدن ، سواء قبل فتح القسطنطينية ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م أو بعده ، ومن بين أمثلته الباقية نذكر كلًّا من : جامع حاجى أوز بك بأزنيق ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م ، وجامع علاء الدين بك فى بروسه ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م ، وجامع فيروز أغا باستانبول ٨٩٦ هـ / ١٤٩١ م ، وجامع إبراهيم باشا باستانبول ٩٥٩ هـ / ١٥٥١ م وجامع على باشا فى توقات ٩٨٠ ه / ١٥٧٣ م ، وجامع Kursunlu فى قيصرية ٩٩٤ هـ / ١٥٨٥ م ، وغير ذلك من الأمثلة [١] .

وقد عُرف هذا النوع من التخطيط فى العمارة المصرية الإسلامية قبل العصر العثمانى بوقت طويل ، ولكنه استُخدم فى بادىء الأمر فى تخطيط المشاهد والقباب المدافن ، كما هو الحال فى كل من مشهد السيدة رقية ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م ، وقبه فاطمة خاتون ٦٨٢ – ٦٨٣ هـ / ١٢٨٣ – ١٢٨٤ م ، وقبة الأشرف خليل ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م ، وقبة بيبرس الجاشنكير ٧٠٦ – ٧٠٩ هـ / ١٣٠٦ – ١٣٠٩ م ، ويسقف الرواق الذى يتقدم مربع هذه القباب أسقف خشبية ، وقد اندثر سقف رواق كل من قُبتى فاطمة خاتون والأشرف خليل [٢] ، وتنتمى إلى هذا النوع من التخطيط أيضًا قبة مدفن صرغتمش السابق الإشارة إليها ، إلا أن الرواق الذى يتقدمها مسقف بقباب ضحلة مقامة على مثلثات كروية .

وحدث بعد ذلك أن استُخدم هذا النوع فى تخطيط بعض الزوايا والخانقاوات ، كما يتضح من خلال ما ورد فى المصادر التاريخية ووثائق الوقف ، فضلاً عن العمائر الباقية حتى الآن .

ومن بين هذه الأمثلة نذكر كلًّا من : الزاوية المعروفة بقبة النصر (مندرسة) وخانقاه الأمير كافور الزمام بالقرافة ، والتى أطلق عليها فى الوثيقة اسم القبة الخانقاه ، وزاوية الأحمدية الرفاعية المعروفة بقبه معبد الرفاعى ، وهى تشبه كلًّا من قبة الفداوية ، وقبة قصر القبة ، وزاوية الدمرداش بالعباسية [٣] .

---

(١) Gabriel (A.), Monuments Turcs d'A natolie, Tome Premier, Paris, 1931, P.56. Fig, 34.
Goodwin, Op. Cit, PP. 17-18, 167, 244, 34, 316. Fig, 2,4,161, 233,309, 312.
Kuran (A.), The Mosque in Early Ottowan Architecture, chicago, 1968. pp 30 - 47.

(٢) محمد حمزة : قرافه القاهرة ، ص ٢٢١ ، ٢٣١ – ٢٣٣ .

(٣) انظر ص ١٣٩ – من هذا البحث .

ومن الملاحظ خلو هذه النماذج من وجود الرواق أو السقيفه التى تتقدمها ، ولكن نظرًا للتشابه الكبير ، سواء فى التخطيط المعمارى أو فى بعض التفاصيل ، ومن أهمها مناطق انتقال القباب ، بين هذه النماذج المملوكية وبين كل من جامعى سنان باشا وأبى الدهب ، فإنه يمكن القول بأن تخطيط كل من هذين الجامعين ماهو إلا تطوير محلى لكيان معمارى وفد على مصر خلال العصر المملوكى ، كما يتضح من الأمثلة المشار إليها ، ويتمثل هذا التطوير فى إضافة ثلاثة أروقة تحيط بالجامع من ثلاث جهات ، عدا جهة القبلة ، ويسقف هذه الأروقة قباب ضحلة مقامة على مثلثات كروية [١] .

ومن المعروف أن جذور هذا الطراز – سواء فى العمارة السلجوقية أو فى العمارة العثمانية – تحتوى على رواق واحد فقط ، وهو السقيفة التى تتقدم الجامع ، والتى تغطى بالقباب أو بالأقبية ، أو بالاثنين معًا ، أما الأروقة الثلاثة التى تحيط بالجامع فلم تظهر فى الجوامع التى تنتمى إلى هذا الطراز فى العمارة العثمانية إلا فى القرن ١١ هـ / ١٧ م ، ويتمثل ذلك فى نموذج وحيد باق حتى الآن ، وهو الجامع الخزفى فى اسكدار ١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠ م [٢] ، أى بعد جامع سنان باشا ببولاق بما يقرب من ثلاثة أرباع القرن إلا قليلاً .

كذلك تجدر الإشارة إلى أن هذه الأروقة الثلاثة لم تظهر أيضًا فى الجوامع التى شُيدت فى بعض البلاد العربية خلال العصر العثمانى وفق طراز بروسة الأول ، سواء بنمطه البسيط أو بنمطه المتطور ، ومن ذلك جامع خسرو باشا ضمن مجمعه بحلب ٩٤٣ – ٩٤٤ هـ / ١٥٣٦ – ١٥٣٧ م الذى يتقدم بيت الصلاة فيه رواق واحد يشرف على الفناء من خلال بائكة ذات خمسة عقود ، ويسقف هذا الرواق خمس قباب صغيرة [٣] .

ومن ذلك أيضًا نذكر كلًا من جامع درويش باشا ٩٧٩ – ٩٨٢ هـ / ١٥٧١ – ١٥٧٤ م وجامع سنان باشا بدمشق [٤] ٩٩٥ – ٩٩٩ هـ / ١٥٨٦ –

---

(١) محمد مصطفى نجيب : العمارة فى العصر العثمانى ، ص ٢٦٢ – ٢٦٣ ، هدايت تيمور : جامع الملكة صفية ، ص ٢٠٦ – ٢٠٨ .

(٢) Pauty, Op, Cit. P. 15, Fig, 17.

هدايت تيمور : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

(٣) Goodwin, Op. Cit. P. 202, Fig. 191.

(٤) يتكون تخطيط بيت الصلاة فى كل من هذين الجامعين من مساحة مستطيلة قُسمت بواسطة بائكتين =

١٥٩٠ م ، ويتقدم بيتَ الصلاة فى كل منهما رواقٌ مغطى بخمس قباب فى جامع درويش باشا ، وبسبع قباب فى جامع سنان باشا ، ويشرف هذا الرواق على الفناء بائكه ذات خمسة عقود فى الجامع الأول ، وذات سبعة عقود فى الجامع الثانى (١) .

ومن الملاحظ خلو الأضلاع الثلاثة الأخرى للصحن فى هذين الجامعين من الأروقة والبائكات ، وهو ما يذكرنا بنموذج مشابه ، وهو جامع محمد باشا ضمن مجمعه بازميت ٩٨٧ هـ / ١٥٧٩ م (٢) .

زفى بغداد تقابلنا ثلاثة نماذج يتكون بيت الصلاة فيها من مساحة مستطيلة ، قُسمت بواسطة بائكتين إلى ثلاثة أروقة ، أوسطها أوسعها وأهمها ، وتعلوه قبة كبيرة ، فى حين يغطى كُلًّا من الرواقين الجانبيين سِتُّ قباب ، بواقع ثلاث بكل رواق ، أوسطها أكبرها ، ويتقدم الجامع رواق أو سقيفه مغطاة بقبابُ تُماثل قبابَ كُلًّا من الرواقين الجانبيين ، وهذه النماذج الثلاثة هى كل من : جامع مراد باشا ٩٧٤ – ٩٨٢ هـ / ١٥٦٦ – ١٥٧٤ م ، وجامع الأحمدية ١٢١٠ هـ / ١٧٩٥ م ، وجامع داود باشا المعروف بجامع الحيدرخانه ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٦ م (٣) .

ويذكرنا تخطيط هذه الجوامع – مع بعض الاختلاف فى التفاصيل – بتخطيط بعض الجوامع العثمانية التى تنتمى إلى هذا الطراز ، ومن أمثلتها فى استانبول كل من : جامع مهرماه ، وجامع زال محمود باشا ، وجامع رستم باشا ، إلا أنه تغطى كُلًّا من

= إلى ثلاثة أورقة أوسطها أوسعها وأهمها ، وتعلوه قبة ضخمة ، وتتكون كل بائكة من ثلاثة عقود تسير عمودية على جدار القبلة ، ويغطى الرواقين الجانبيين فى جامع درويش باشا ست قباب ، بواقع ثلاث قباب بكل رواق ، ويتفق تخطيط كل من هذين الجامعين – مع بعض الاختلاف فى التفاصيل – مع تخطيط بعض الجوامع العثمانية ، مثل رستم باشا ، وجامع مهرماه ، وجامع زال محمد باشا باستانبول ، وغير ذلك .

(١) Sauvaget (J.) les Monuments Historiques de Damas. Beyrouth, 1932. PP. 83-86.

ربيع خليفه : أثر الفن والعمارة العثمانية على مصر والبلاد العربية ضمن كتاب دراسات فى الأدب والتاريخ التركى المصرى ، القاهرة ١٩٨٩ م ص ١٧٦ – ١٧٧ .

(٢) Goodwin, Op. Cit, PP. 301-302, Fig, 289.

(٣) عيسى سلمان (وآخرون) : العمارات العربية الإسلامية فى العراق ، جـ ١ ، بغداد ١٩٨٢ م ، ص ٢٣٥ – ٢٤٢ ، ٢٥٢ – ٢٦٥ ، مخطط رقم ١٧ – ١٩ .

اعتماد يوسف القيصرى : مساجد بغداد فى العهد العثمانى ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة : جامعة القاهرة ١٩٨١ م ، ص ٤٨ ، ٣٤٥ – ٣٤٦ ، ٥٢٤ – ٥٢٨ .

الرواقين الجانبيين فى هذا الجامع الأخير أقبيةٌ متقاطعة ولكن ليس قباب كما هو الحال فى النماذج السابقة (١) .

كذلك تحتفظ بغداد بنموذج فريد لمسجد ذى قبة واحدة تحيط به من الخارج من ثلاث جهات – عدا جهة القبلة – ثلاثة أروقة ، وهو المسجد الملحق بمشهد الشيخ عبد القادر الجيلانى ، وقد أمر بإنشائهما السلطان سليمان القانونى ٩٤١ هـ / ١٥٣٤ م ، إلا أن هذه الأروقة الثلاثة لا ترجع إلى عصر الإنشاء السابق الإشارة إليه ، وإنما ترجع إلى سنة ١٠٨٥ هـ / ١٦٦٤ م، وقد أمر بإضافتها وتجديد كل من المسجد والمشهد الوزير حسين باشا السلحدار (٢) .

ومن بين العمائر الأثرية باليمن التى صُممت وفق هذا الطراز ، وتخلو من وجود الأروقة الثلاثة أيضًا ، نذكر المدرسة البكرية بصنعاء ١٠٠٥ هـ / ٥٩٦ م ، والتى يتقدم بيت الصلاة (البنية) فيها رواق أو سقيفة مغطاة بثلاث قباب صغيرة ، ويشرف هذا الرواق على الفناء المكشوف (الصرح أو الحرم) من خلال بائكة ذات ثلاثة عقود ، ومن هذه العمائر أيضًا نذكر كُلًا من مسجد المرادية ٩٨٤ هـ / ١٥٧٦ م ، ومسجد طلحة ١٠٢٩ هـ / ١٦١٩ م ، والملاحظ أن الرواق أو السقيفة التى تتقدم بيت الصلاة فى هذا الجامع الأخير لا تقع على محور المحراب كما هو العادة ، وإنما تقع إلى الغرب من بيت الصلاة ، وتشرف على الفناء الغربى ببائكة ذات عقدين ، ويغطى هذه السقيفة أربع قباب صغيرة (٣) .

النوع الثالث : التخطيط ذو الأروقة المغطاة بقباب (الجامع ذو القباب المتعددة) :

يتكون هذا النوع من التخطيط من مساحة مستطيلة أو مربعة تُقسم إلى أروقة بواسطة عدد من البائكات ، يختلف من جامع لآخر ، وتتكون هذه البائكات من أعمدة أو دعامات تنطلق من فوقها عقود تتجه عمودية على جدار القبلة ، وأخرى تتجه موازية لذلك الجدار ، مما ينتج عنه مجموعة من المربعات الصغيرة ، يعلو كل مربع منها قبة ، وقد تكون جميع هذه القباب المتعددة متساوية وربما لا تكون كذلك .

---

(١) Goodwin, Op. Cit, PP. 250, 253, 258. Fig, 240, 242, 246.

(٢) عيسى سلمان : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ – ١٣٢ ، مخطط رقم ١٧ .

(٣) ربيع خليفة : مساجد مدينة صنعاء فى فترة الوجود العثمانى الأول ، القاهرة ١٩٨٩ م ، ص ٤٧ – ٤٨ ، ٥٦ – ٥٨ ، ٩٥ – ٩٩ (شكلا ١ – ٢) .

ويتجلى هذا التخطيط بوضوح ، مع بعض الاختلافات الطفيفة ، فى نموذج وحيد باق بالقاهرة العثمانية ، وهو جامع عابدى بك (بمصر القديمة) ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م .

ويتكون تخطيط هذا الجامع من مساحة مربعة تقريباً ، قُسمت بواسطة بائكتين إلى ثلاثة أروقة ، تتكون كل بائكة من عمودين مستديرين ينطلق من فوقهما اثنا عشر عقدًا مدبباً ، بواقع ستة عقود تتجه عمودية على جدار القبلة ، ومثلها تتجه موازية لذلك الجدار ، وقد نتج عن ذلك تسعة مربعات صغيرة ، يعلو المربع الأوسط منها ، فيما بين الأعمدة الأربعة منورٌ ، فى حين يعلو باقى المربعات قبابٌ ، وجميع هذه القباب متساوية ومُقامة على مثلثات كروية ، باستثناء القبة التى تعلو المربع أمام المحراب ، فهى أكثر القباب ارتفاعًا ، كما أنها مقامة على حطات من المقرنصات المتصاعدة .

والواقع أن هذا النوع من التخطيط يذكرنا بالتخطيط غير التقليدى للمساجد فى العمارة الإسلامية ، وهو التخطيط الذى اصطلحنا على تسميته بالتخطيط ذى الأروقة دون الصحن أو الدرقاعة ، وقد انتشر هذا التخطيط فى العديد من الأقطار الإسلامية منذ العصور الإسلامية الأولى ، وقد استخدم فى تسقيف هذا النوع من التخطيط إمّا القباب أو الأقبية ، أو الاثنين معًا ، وإمّا الأسقف الخشبية .

أمّا عن استخدام القباب العديدة فى التغطية ، فقد عرف هذا الاستخدام قبل العصر الإسلامى ، كما هو الحال فى العديد من العمائر الرومانية والبيزنطية فى القسطنطينية ، وروما ، ورافنا ، وبلاد الشام ، وليبيا ، وغير ذلك .

وقد استمر هذا الاستخدام خلال العصر الإسلامى ، ومن أمثلته الباقية التى تنتمى إلى هذا النوع من التخطيط مسجد بلخ ، ويؤرخ بالنصف الأول من القرن ٣ هـ / ٩ م ، وهو مقسم إلى ثلاثة أروقة تغطيها تسع قباب صغيرة متساوية (١) .

وقد انتشر هذا النوع من التخطيط فى العمارة العثمانية وهو الطراز المعروف باسم طراز بروسه الثانى ، والذى ظل مُستخدمًا حتى نهاية القرن ١١ هـ / ١٧ م ، ومن بين أمثلته الباقية نذكر كُلًا من : الجامع الكبير فى بروسه (أو لو جامع) ١٣٩٦ – ١٤٠٠ م والجامع القديم (أو العتيق) فى أدرنة (اسكى جامع) ١٤٠٣ –

---

(١) Galombek (L.), Abbasid Mosque At Ballsh. Oriental Art, Xv/3, 1969, pp. 173-189.

Grabar (O.). The formation of Islamic Art, Yale University Press, third printing, 1978. P. 127. Fig. 39.

١٤١٤ م ، ويتقدم هذا الجامع رواق أو سقيفة تغطيها قبة فى الوسط ، تكتنفها من جانبيها أربعة أقبية متقاطعة ، بواقع قبوين من كل جانب .

ومنها جامع عتيق على باشا فى زنجرلى قويو باستانبول ١٤٩٧ م ، وجامع بيالى باشا فى استانبول ١٥٧٣ م ، ويمتاز هذا الجامع بوجود رواق يحيط به من ثلاث جهات ، عدا جهة القبلة ، وقد استخدم فى تغطية كل من الرواقين الجانبيين أقبية متقاطعة ، كما يلاحظ أن بيت الصلاة فى هذا الجامع مُغَطّى بست قباب متساوية ، فضلًا عن الأقبية المتقاطعة فى الجانبين (١) .

بقى أن نشير إلى أن مصر قد عرفت هذا النوع من التخطيط قبل العصر العثمانى بوقت طويل ، وترجع أقدم أمثلته الباقية إلى العصر الإخشيدى ، ويتمثل ذلك فى مشهد آل طباطبا (بعين الصيرة) ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م ، واستمر هذا النوع من التخطيط خلال العصر الفاطمى ، ومن أمثلته الباقية مشهد السبعة والسبعين وليًا بأسوان ، وكذلك كان تخطيط المشهد القبلى بالشلال بأسوان (أشكال ٢٢ – ٢٤) (٢) – قبل اندثاره – وجامع الفيلة الذى كان مغطى بتسع قباب كما يذكر المقريزى فى خططه (٣) .

كذلك غُطيت كثير من الكنائس القبطية التى بُنيت خلال العصر الفاطمى بالقباب العديدة ، وقد استمر ذلك شائعًا حتى نهاية العصر العثمانى ، سواء فى بعض كنائس مصر القديمة أو كنائس الأديرة بالوجه القبلى (٤) .

---

(١) آصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٩٣ .

Goodwin, Op. Cit, PP. 54, 56, 277. Fig, 49, 50,264, Kuran, op. cit, pp. 151-159.

(٢) انظر ص ١١٣ من هذا البحث .

(٣) كان هذا الجامع يقع بالرصد (اصطبل عنتر حاليًا وما يجاوره) وقد أمر بإنشائه الأفضل شاهنشاه ابن بدر الجمالى فى سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م ، وقيل له جامع الفيلة « لأن فى قبلته تسع قباب فى أعلاه ذات قناطر ، إذا رآها الإنسان من بعيد شبهها بمدرعين على فيلة ، كالتى كانت تعمل فى المواكب أيام الأعياد وعليها السرير وفوقها المدرعون أيام الخلفاء .. » .

المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٨٩ .

(٤) مصطفى شيحة : دراسه للعمائر القبطية بصعيد مصر فى العصر الفاطمى « محافظة قنا » رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ١٩٧٩ م ، ص ٢٦٧ ، دراسات فى العمارة والفنون القبطية ، القاهرة ١٩٨٨ م ، ص ١٧٥ .

ويُستفاد من خلال ما رواه (الجبرتى) فى حوادث ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م أن المدرسة الجنبلاطية بباب النصر ربما كانت تنتمى إلى هذا النوع من التخطيط ، حيث يقول : « ومما هدمه الفرنسيون جامع الجنبلاطية بباب النصر ، وما كان به من القباب العظام المعقودة من الحجر المنحوت ، المربعة الأركان ، الشبيهة بالأهرام ، والمنارة العظيمة ذات الهلالين » [(١)] .

ومن أهم البلاد العربية التى انتشر فيها هذا النوع من التخطيط وتلك التغطية انتشارًا كبيرًا ليبيا ، وتحتفظ مدينه طرابلس بنماذج عديدة نذكر من بينها كُلًّا من : جامع محمود ، ومسجد الدباغ ، ومسجد الصقلانى ، وكل منها مغطى بأربع قباب ، وجامع الدروج ، ومسجد السراى الحمراء ، وكل منهما مغطى بتسع قباب ، وجامع شائب العين محمد باشا ١١١٠ هـ / ١٦٩٨ م ، وهو مغطى بست عشرة قبة ، وجامع مصطفى قورجى ١٢٤٩ - ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٣ - ١٨٣٤ م ، وهو مغطى بست عشرة قبة أيضًا ، وجامع أحمد باشا القره مانلى ١١٥٠ - ١١٥١ هـ / ١٧٣٧ - ١٧٣٨ م ، وهو مغطى بخمس وعشرين قبة [(٢)] .

أما جامع درغوت باشا وإلى طرابلس فيما بين ٩٦٤ - ٩٧١ هـ / ١٥٥٦ - ١٥٦٣ م ، فيعد من أهم الجوامع بتلك المدينة ، ويتميز بيت الصلاة فيه بتخطيطه على هيئة (حرف T) ويغطى بيت الصلاة اثنتان وثلاثون قبة [(٣)] ، ويكاد يكون هو النموذج الوحيد ، المعروف لدينا حتى الآن ، الذى صُمم على هيئة (حرف T) وغُطى بهذا العدد الكبير من القباب المتساوية .

وفى العراق يقابلنا هذا النوع من التخطيط وتلك التغطية فى بعض العمائر ، سواء التى بُنيت قبل العصر العثمانى أو التى بنيت خلال ذلك العصر ، ومنها كل من : جامع الخفافين ، وجامع قمرية ، وكل منهما مغطى بست قباب ، وجامع العاقولى ،

---

(١) الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ ٢ (طبعة دار الجيل) ص ٤٣٢ .

(٢) ميسانا (غاسبرى) : المعمار الإسلامى فى ليبيا ، ترجمه على الصادق حسنين ، طرابلس ١٩٧٣ م ، ص ١٨٤ - ٢٠٢ .

مسعود رمضان شقلوف (وآخرون) : موسوعه الآثار الإسلامية فى ليبيا ، جـ ١ ، طرابلس ١٩٨٠ م ص ٦٣ - ٨٠ ، ٩٢ - ١١٢ .

(٣) المرجع نفسه : ص ٦٠ - ٦٢ .

وهو مغطى بعشر قباب ، ومسجد « ذو الكفل » بمحافظة بابل ، وهو مغطى بثلاث عشرة قبة صغيرة (١) .

الزوايا : مفردها : زاوية وتعنى لغويًا ركن البناء ، لأنها جمعت بين قطرين منه ، وضمت ناحيتين (٢) . ومن ثم أطلق هذا اللفظ فى البداية على الحلقات العلمية بالجوامع الكبرى ، ومنها زوايا العلم بجامع عمرو بن العاص ، كزاوية الإمام الشافعى ، والزاوية المجدية ، والزواية الصاحبية وغيرها ، وقد أوقفت على هذه الزوايا بعض الأوقاف مما كان له أثره الكبير فى استمرارها فى أداء رسالتها العلمية (٣) . وتطورت الزوايا بعد ذلك لتصبح منشآت مستقلة ، لكل منها مصلى أو مسجد وأماكن للإقامة ، بالإضافة إلى الملحقات ، وكانت مسكنًا للصلحاء من الشيوخ ممن يشتهر أمرهم ، حيث يتجمع حولهم تلاميذهم ومريدوهم ، وهم غالبًا من الفقراء ، بالإضافة إلى العابرين وأبناء السبيل ، وكان شيخ الزاوية يتولى الوعظ والإرشاد لمن يتردد على الزاوية أو يقيم فيها .

وكانت بعض الزوايا تنشأ لأفراد من الصلحاء وتحمل أسماء ساكنيها أو منشئيها ، ومن أمثلة ذلك زاوية الشيخ خضر ، وزاوية ابن منظور ، وزاوية الحلاوى ، وزاوية نصر ، وزاوية الشريف مهدى ، وزاويه الركراكى ، وزاوية الجعبرى ، وزاوية المغربل ، وزاوية القصرى ، وزاوية الجاكى ، وزاوية الإيناسى ، وزاوية إبراهيم الصائغ ، وغير ذلك (٤) .

كذلك كانت هناك زوايا تخصص لطوائف معينة من الأغراب الذين كانوا يفدون إلى القاهرة كالأحباش ، والأعاجم ، وغيرهم ، ومن أمثلة ذلك زاوية الشيخ تقى الدين

---

(١) كاظم الجنابى : مسجد قمرية ، تخطيطه وعمرانه ، مجله سومر ، المجلد ٢٨ ، بغداد ١٩٧٢ م ، ص ١٨٧ - ١٩٢ .
عيسى سلمان : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٩٢ ، ٢٠٦ ، ٢٤٩ ، جـ ٢ ، ص ١٢١ .

(٢) إبراهيم مصطفى (وآخرون) : المعجم الوسيط ، جـ ١ القاهرة ١٩٦٠ م ، ص ٤١٠ ، دائرة المعارف الإسلامية المعربة : ماده زاوية .

(٣) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .
محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٨٠ م ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٤) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٤٣٠ - ٤٣٥ ،
توفيق الطويل : التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى ، ص ٤٢ - ٤٣ .

رجب بن أشيرك التى أمر بإنشائها السلطان حسام الدين لأجين ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م ، ووقفها على الفقراء أهل الطريق الأعاجم المنقطعين .

ومنها الزاوية المعروفة بقبة النصر ، وكان يسكنها فقراء الأعاجم أيضًا ، ومن هذه الزوايا فى العصر العثمانى زاوية حسن الرومى ، وقد خصصت لطائفة العجم ، واشترط الواقف أن يستقروا فيها على الدوام ، وإذا أراد أحد هؤلاء الأعاجم أن يخرج لطلب العلم على مشايخ الأزهر ، سُمِحَ له بذلك ، بحيث لا تفوته صلاة الظهر بالزاوية ، وكان الواقف قد أوقف هذه الزاوية مسجدًا لله تعالى تُقام فيه الصلوات الخمس المعهودة [١] .

وقد استخدمت بعض الزوايا كمسجد تُؤدَّى فيه الصلوات الخمس المفروضة ، ومنها زاوية الخدام التى كانت منزلا للخدام الأحباش ، وأصبحت مسجدًا له إمام ومؤذن وقومه ، ومنها أيضًا زاوية البراشمة التى كانت توجد بخط المصنع بالقلعة ، وغير ذلك [٢] .

ومن المعروف أن مساجد الصلوات الخمس كانت كثيرة ، سواء فى مصر [٣] أو فى القاهرة ، ويؤكد ذلك ما ذكره « القلقشندى » بقوله : « وأما مساجد الخمس فكانت على العدد الذى لا يُحْصَى لكثرتها ، وخطط القضاعى شاهدة بذلك » .

ويضيف « القلقشندى » فيقول : « وأما مساجد الصلوات الخمس – بالقاهرة – فأكثر من أنْ تُحْصَى وأعز من أن تستقصى ، بكل خططها مسجد أو مساجد ، لكل منها إمام راتب ومصلون » [٤] .

وقد انتشر هذا النوع من الزوايا التى تؤدى فيها الصلوات الخمس خلال العصر العثمانى ، ويؤكد ذلك ما ذكره « جومار » بقوله : « إن المساجد الصغيرة أو المصليات

---

(١) محمد حمزة : المرجع السابق ، ص ١٤٠ ، ١٤٦ .

(٢) دولت عبد الله : معاهد تزكية النفوس فى مصر فى العصر الأيوبى والمملوكى ، القاهرة ١٩٨٠ م ، ص ٥٦ – ٥٧ .

(٣) المراد بها : مصر القديمة أو الفسطاط .

(٤) القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على) :
صبح الأعشى فى صناعه الإنشاء ، جـ ٣ ، ص ٣٤٢ ، ٣٦٥ .

يُطلق عليها فى العموم اسم زاوية ، عددها ضخم جدًا ، حوالى مائة وستين ، كل هذه المبانى المخصصة للعبادة يتردد عليها كل يوم أهالى القاهرة بحماس وورع »[١] .

ومثل هذه الزوايا كانت لا تحتوى على منبر ولا مئذنة ، ومن ثم كان المؤذن يؤذن على بابها أو من شرفة تعلو مدخلها الرئيسى ، ولا يزال لفظ الزاوية يُطلق حتى الآن على المساجد الصغيرة أو المصليات فى جميع أنحاء مصر .

هذا و لم يتبق من الزوايا العديدة التى بُنيت فى القاهرة إبّان العصر العثمانى سوى ست زوايا لا تزال محتفظة بمعالمها الأصلية إلى حد كبير ، وقد أوقفت هذه الزوايا الست كمساجد للصلوات الخمس المفروضة ، وهذه الزوايا هى : زاوية الشيخ حسن الرومى ٩٢٩ هـ / ١٥٢٣ م ، وزاوية الشيخ سعود ٩٣٥ هـ / ١٥٢٨ م ، وزاوية الشيخ ضرغام أوائل القرن ١٠ هـ / ١٦ م ، وزاوية الشيخ مرشد قبل ٩٤٠ هـ / ١٥٣٣ م ، وزاوية رضوان بيك (بالقربية) ١٠٣٧ هـ / ١٦٢٧ م ، وزاوية الأمير عبد الرحمٰن كتخدا (بالخيامية) ١١٦٨ – ١١٧٥ هـ / ١٧٥٤ – ١٧٦١ م .

ويستثنى من هذه الزوايا الست ، زاوية الشيخ حسن الرومى ، التى خُصصت – فضلًا عن كونها مسجدًا للصلوات الخمس – لطائفة العجم كما سبق القول ، ومن ثم تُعد هذه الزاوية استمرارًا لسلسلة الزوايا التى أُقيمت بالقاهرة خلال العصر المملوكى ، وخصصت لطائفة الأعاجم ، وقد سبقت الإشارة إلى بعض نماذج من تلك الزوايا .

أما عن تخطيط هذه الزوايا فهو لم يخرج عن النظام التخطيطى المألوف فى العمائر الدينية الأخرى ، سواء فى العصر المملوكى أو العصر العثمانى ، ويمكن أن نحصر تخطيطات تلك الزوايا الباقية فى ثلاثة أنواع رئيسية ، وذلك على النحو التالى :

النوع الأول : التخطيط ذو الأروقة دون الصحن أو الدرقاعة :

ونشاهد هذا التخطيط فى زاويتين فقط ، هما : زاوية حسن الرومى ٩٢٩ هـ / ١٥٢٣ م ، وزاوية رضوان بيك ١٠٣٧ هـ / ١٦٢٧ م (شكلا ٢٥ – ٢٦) .

---

(١) جومار (آدم فرنسوا) : وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل ، ترجمة أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٨٨ م ، ص ١٩٣ .

وبالنسبة لتخطيط الزاوية الأولى ، فهى عبارة عن مساحة مستطيلة ٩ر٧٠ × ٩ر٢٢ م قُسمت بواسطة بائكة واحدة إلى رواقين موازيين لجدار القبلة ، وتتكون هذه البائكة من ثلاثة عقود نصف دائرية أوسطها أوسعها ، وترتكز هذه العقود على عمودين مستديرين من الجرانيت الوردى فى الوسط ، وعلى دعامتين بارزتين على كل من جدارى الضلعين الجانبيين ، هذا ويسقف كل رواق من رواق الزاوية قبة ضحلة فى الوسط ، يحيط بها من الجانبين قبوان طَوليَّان نصف أسطوانيين ، وقد استطاع المعمار أن يقيم هاتين القبتين عن طريق بناء عقود عمودية على جدار القبلة ، وأخرى موازية لها ، وتحصر هذه العقود فيما بينها منطقة انتقال هاتين القبتين ، وهى عبارة عن أربعة مثلثات كروية ، بواقع مثلث فى كل ركن من الأركان الأربعة .

ويذكر بعض العلماء أن تخطيط هذه الزاوية يعد أحد الأنماط المعمارية الجديدة التى أدخلها العثمانيون فى العمارة المصرية ، وقد أطلق على هذا التخطيط اسم النمط الأناضولى . ويضيف فيذكر أن هذا التخطيط أصله بيزنطى ، ويتكون بيت الصلاة فيه من مستطيل مُغطًّى فى أغلب الأحيان بقبتين متتاليتين موضوعتين على محور المحراب ، وتبرز نهاية المستطيل حيث توجد حنية المحراب فى خارج المنشأة ، ويوجد على جانبى بيت الصلاة مجنبتان تغطيهما قباب صغيرة ، وأحيانًا لا تغطى ، وأخيرًا يمتد بطول الواجهة رواق خارجى مغطى بقباب صغيرة [١] .

ومن الواضح أن هذا الوصف لا ينطبق على تخطيط زاوية حسن الرومى ، وإنما ينطبق على تخطيط آخر ، هو المعروف باسم طراز بروسه الثالث ، وقد سبقت الإشارة إليه .

وواقع الأمر أن تخطيط زاوية حسن الرومى متأثر بشكل مباشر بتخطيط مصلى المؤمنى (مسجد الغورى بأول شارع السيدة عائشة) ٩٠٩ هـ / ١٥٠٣ م ، القريب من هذه الزاوية ، ويتكون إيوان القبلة فى هذا المصلى من مساحة مستطيلة ٢٠ر١١ × ٩٠ر٨ م ، وقد قسمت هذه المساحة بواسطة بائكتين إلى رواقين ، بكل رواق منهما ثلاثة مربعات ، يغطى مربعات الرواق الأول – مما يلى جدار القبلة ، ثلاثُ

---

(١) Hautecoeur et Wiet, Op. Cit, p. 342.

وممن درس هذه الزاوية أيضًا على أنها من الطراز العثمانى الوافد الدكتور على المليجى فى رسالته للدكتوراه المشار إليها سابقًا ، ص ٣٠٢ – ٣٠٧ .

قبابٍ ضحلة مقامة على مثلثات كروية ، بواقع قبة فى الوسط تعلو المحراب وقُبتين جانبيتين ، أما مربعات الرواق الثانى فيغطى المربعَ الأوسط منهما على محور قبة المحراب قبةٌ ضحلة مقامة على مثلثات كروية ، فى حين يغطى المربعين الجانبيين من هذا الرواق أقْبِيَةٌ مروحيةٌ ، بواقع قبو مروحىّ لكل مربع .

ونضيف على ذلك فنذكر أن أسلوب التسقيف أو التغطية بقبة فى الوسط تكتنفها الأقبية – سواء كانت نصف أسطوانية أو متقاطعة أو مروحية من جانبيها – قد عرف فى مصر ، فى ضوء الأدلة الأثرية المتوفرة حتى الآن ، منذ العصر الفاطمى ، ويوجد أقدم مثل باق لهذا النوع من الأسقف فى مشهد الجيوشى ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م ، حيث يسقف الرواق الأول فى بيت الصلاة مما يلى جدار القبلة ، قبه فى الوسط تعلو المحراب ، وهى مقامة على أربع حنايا ركنية كبيرة فى حين يسقف كُلّ مربع من المربعين الجانبين قَبْوٌ متقاطع .

ومن الأمثلة التالية نذكر جامع الأمير « أق سنقر » الناصرى (الجامع الأزرق) ٧٤٧ – ٧٤٨ هـ / ١٣٤٦ – ١٣٤٧ م ، وينفرد هذا الجامع بين جوامع القاهرة بأن أروقته كلها كانت مسقوفة بأقبية متقاطعة ، ويستثنى من ذلك المربع الذى يتقدم المحراب (برواق القبلة) حيث تعلوه قبة مقامه على أربع حنايا ركنية كبيرة ، وتكتنف هذه القبة من جانبيها بطبيعة الحال الأقبية المتقاطعة .

ونذكر أيضًا إيوان القبلة بمدرسه الأمير قانيباى الرماح ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م بالقلعة والقريبة أيضًا من مصلى المؤمنى ، وزاوية حسن الرومى ، ويسقف هذا الإيوان قبة ضحلة فى الوسط مقامة على أربعة مثلثات كروية ، ويكتنف هذه القبة من جانبيها قبوان نصف أسطوانيين .

أما عن مصدر هذا النوع من الأسقف فالراجح أنه بلاد الشام ، حيث شاع هذا النوع من التسقيف فى العديد من المدن ، وبخاصه مدينة حلب [1] .

أما بالنسبه لتخطيط زاوية رضوان بيك فهى عبارة عن مساحة مستطيلة ١٠٫٨٠ × ٧٫٨٠ م ، وقد قسمت هذه المساحة بواسطة بائكة واحدة إلى رواقين موازيين

---

(١) عبد القادر الريحاوى : العمارة العربية الإسلامية ، خصائصها وآثارها فى سورية ، دمشق ١٩٧٩ م ، ص ١٦٣ ، ١٨٢ – ١٨٣ .

لجدار القبلة ، وتتكون هذه الباتكة من كَمَرٍ خشبى يرتكز على عمود مستدير من الحجر الصوان ، تعلوه دعامة مستطيلة فى الوسط ، وعلى دعامتين بارزتين ملتصقتين بكل من جدارى الضلعين الجانبيين ، وهما الضلع الجنوبى الغربى والضلع الشمالى الشرقى المقابل له .

ومن الجوامع التى اتبعت هذا التخطيط كُلٌّ من جامع سيدى عقبة ، وجامع ذى الفقار بيك ، وجامع الشواذلية ، وقد سبقت الإشارة إليها ، وإلى تأصيل هذا النوع من التخطيط فيما قبل العصر العثمانى .

النوع الثانى : التخطيط ذو الإيوانات حول صحن أو درقاعة :

ونشاهد هذا النوع من التخطيط فى زاويتين فقط هما : زاويه الشيخ مرشد قبل ٩٤٠ هـ / ١٥٣٣ م ، وزاوية الشيخ ضرغام فى أوائل القرن ١٠ هـ / ١٦ م .

ويتكون تخطيط زاوية الشيخ مرشد من درقاعة مغطاة يتقدمها إيوان رئيسى واحد ، هو إيوان القبلة ، ويشرف عليها بعقد مدبب حدوة الفرس .

أما زاوية الشيخ ضرغام فيتكون تخطيطها من درقاعة وسطى يحيط بها إيوانان رئيسيان ، هما إيوان القبلة والإيوان الشمالى الغربى المقابل له ، وإذا كان إيوان القبلة يشرف على الدرقاعة بعقد مدبب فإن الإيوان الشمالى الغربى يشرف عليها من خلال كردين خشبيين تمتد فيما بينهما من أعلى مَعْبَرة خشبية .

وقد أشرنا سابقًا إلى نماذج الجوامع التى اتبعت هذا النوع من التخطيط ، مع تتبع أصول هذا التخطيط وتأصيله فيما قبل العصر العثمانى .

النوع الثالث : التخطيط على هيئة مربع تعلوه قبة (الزاوية القبة) :

يتكون هذا النوع من التخطيط من مساحة مربعة تعلوها قبة مقامة عل حطات من المقرنصات ، ونشاهد هذا التخطيط فى نموذج فريد باق من العصر العثمانى ، وهو زاوية الشيخ سعود ٩٣٥ هـ / ١٥٢٨ م [1] ، (شكل ٢٧) .

---

(١) عن الدراسة التفصيلية لهذه الزاوية انظر : محمد حمزة : المرجع السابق ، ص ١٥٤ – ١٦٢ .

وعند تأصيل هذا النوع من التخطيط نجد أنه قد عُرف خلال العصر المملوكى ، وصُممت به بعض العمائر الدينية ، وبخاصه الزوايا والخانقاوات ، كما يتضح من خلال ما ورد فى المصادر التاريخية والوثائق المختلفة ، ومن أمثله ذلك الزاوية المعروفة بقبة النصر ، وخانقاه الأمير كافور الزمام بالقرافة ، والتى أطلق عليها فى الوثيقة اسم القبة الخانقاه (١) .

أما عن الأمثلة الباقية فمنها زاوية الأحمدية الرفاعية المعروفة بقبة معبد الرفاعى (٢) ، (تجاه خانقاه السلطان برسباى بقرافة المماليك) وزاوية الدمرداش بالعباسية (٣) .

وبعد فقد تحدثنا عن خمس زوايا ولم يبق سوى الزاوية السادسة ، وهى زاوية الأمير عبد الرحمٰن كتخدا بالخيامية ١١٦٨ - ١١٧٥ هـ / ١٧٥٤ - ١٧٦١ م ، التى لا تنتمى إلى أى نوع من أنواع التخطيطات السابقة ، حيث أنها عبارة عن مساحة مستطيلة ٦٫٣٢ × ٦٫٥٥م ، يتوسط صدرها المحراب ، وتوجد على يمينه خزانة حائطية (كتبية) وتوجد بالضلع الشمالى الغربى تجاه المحراب ثلاث دخلات ، تحوى كُلٌّ دخلة منها شباكًا مستطيلاً ذا مصبعات خشبية يشرف على الشارع الرئيسى (شكل ٢٨) .

---

(١) محمد حمزه إسماعيل الحداد : قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك (رساله ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٨٦ م) ، ص ١٢٢ ، ١٦٦ .

(٢) أمر بإنشائها السلطان الأشرف برسباى تجاه الخانقاه الخاص به بقرافة المماليك ، وقد وقف هذه القبة وما هو من حقوقها « زاوية ومسجدًا لله تعالى تُقام فيها الصلوات ، ويُعتكف فيها على العبادات ، وموطنًا للفقراء الأحمدية الرفاعية » .

محمد عبد الستار عثمان : الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباى بمدينة القاهرة (رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٧٧ م) ص ٧٤ ، ١٨٨ - ١٩٠ .

وقد جدد هذه القبة الأمير يشبك ، من مهدى ٨٨٣ هـ / ١٤٧٨ م ، وهى تشبه قبة كل من قصر القبة وقبة الفداوية .

سامى عبد الحليم : الأمير يشبك ، من مهدى وأعماله المعمارية بالقاهرة (رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٦٩ م) ص ١٤٥ - ١٦٧ .

(٣) بُنيت هذه القبة كزاوية للشيخ شمس الدين المحمدى الدمرداش الذى جاء من تبريز إلى القاهرة خلال عصر السلطان المملوكى الأشرف قايتباى ، وهى تشبه قباب الأمير يشبك من مهدى .

Abouseif (D.B), An Unlisted Monument of the Fifteenth century the Dome of Zawiayat Al-Damirdas, Annales Islamologiques, Tome XVII,I.F.A.O., Le Caire, 1982. PP. 105-115.

ويسقف هذه الزاوية سقفٌ خشبى ذو براطيم تحصر فيما بينها مساحات غائرة ، وقد كان هذا السقف مزخرفاً بزخارف ملونة ومذهبة لا تزال بقاياها ظاهرة ، ويجرى أسفل هذا السقف إزار خشبى ذو زخارف ملونة ومذهَّبة ، إلا أنها بحالة سيئة للغاية .

ولهذه الزاوية واجهة رائعة تحمل طابع عمائر الأمير عبد الرحمٰن كتخدا المنتشره فى شتى أرجاء القاهرة ، ولعل أبرز ما يميز هذه الزاوية تلك الشرفة الحجرية البارزة التى تعلو مدخلها فى الطرف الشمالى من الواجهة ، ويتوصل إلى هذه الشرفة من خلال باب صغير معقود بعقد موتور ، والراجح أن هذه الشرفة كانت تقوم مقام المئذنة فى الإعلان للأذان ، وهى بذلك تعد طريقة مبتكرة لم تُشاهَد فى غيرها من العمائر الدينية التى لا تزال باقية بمدينة القاهرة [١] .

المدارس : إن المدرسة ككيان معمارى تعد طرازًا مستحدثًا فى العمارة الإسلامية ، فلم يكن يعرف قبل القرن ٤ هـ / ١٠ م ، ثم لم يلبث أن انتشر فى أقطار العالم الإسلامى ، واتخذ فى كل قطر منها طابعًا معماريًا خاصًا بها .

ومما لا شك فيه أن إنشاء المدارس كان بداية عهد جديد فى تطور العمارة الإسلامية ، وبخاصة العمارة الدينية من جهة ، وفى ازدهار الحركة العلمية فى أقطار العالم الإسلامى من جهة أخرى .

وإذا كانت المدارس قد وجدت طريقها إلى مصر فى أواخر العصر الفاطمى غير أنه لم يُقَدَّر لها الانتشار إلا فى العصر الأيوبى ، حيث بلغ عدد المدارس المعروفة حتى الآن ، والتى شُيدت خلال ذلك العصر ، نحو ست وعشرين مدرسة ، منها ثلاث وعشرون مدرسة بالقاهرة وظواهرها ، ومدرستان بالفيوم ، ومدرسة واحدة بالإسكندرية .

ولم ينته عصر إنشاء المدارس بانتهاء الدولة الأيوبية ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م ، فقد ورثت الدولتان المملوكيتان اللتان تعاقبتا على حكم مصر فيما بين ٦٤٨ – ٩٢٣ م / ١٢٥٠ – ١٥١٧ م الاهتمام بإنشاء المدارس ورعاية الحركة العلمية التى ازدهرت بشكل منقطع النظير ، وليس أدل على ذلك من كثرة ما خَلّفه علماء ذلك العصر

---

(١) حسن عبد الوهاب : التأثيرات العثمانية ، ص ٥٢ ، كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٥٨ ، ٩٣ .

من تراث ضخم فى مختلف العلوم والفنون ، نُشر بعضه ، وما زال أكثره مخطوطًا لم ير النور بعد .

ويكفى للدلالة على كثرة إنشاء المدارس فى ذلك العصر أن نشير إلى ما ذكره ابن بطوطة فى رحلته من أن المدارس بمصر « لا يحيط أحد بحصرها لكثرتها » (١) .

ويضيف القلقشندى فيذكر أنه بُنى بمدينة القاهرة من المدارس « ما ملأ الأخطاط وشحنها » (٢) .

كذلك تفيض المصادر التاريخيه المختلفة ووثائق الوقف المملوكية بذكر العديد من المدارس التى شيدت خلال ذلك العصر .

ومهما يكن من أمر فإنه لم يتبق من مدارس القاهرة المملوكيه سوى اثنين وخمسين مدرسه منها ثمان عشره مدرسة من عصر المماليك البحرية وأربع وثلاثين مدرسة من عصر المماليك الجراكسه أو البرجيه (٣) .

وقد توقفت حركة إنشاء المدارس خلال العصر العثمانى بدرجة كبيرة ، فالمعروف من هذه المدارس حتى الآن ، نحو خمس مدارس ، لم يتبق منها سوى مدرستين ، هما : المدرسة السليمانية بالسروجية ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م ، والمدرسة المحمودية (بشارع بورسعيد) ١١٦٤ هـ / ١٧٥٠ م .

أما المدارس الثلاث أخرى فقد اندثرت اثنتان منها ، وهما : مدرسة إسماعيل باشا الوزير (٤)

---

(١) ابن بطوطة (محمد بن عبد الله) ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م
الرحلة (تحفه النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) بيروت ، بدون تاريخ ص ٣٣ .

(٢) القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على) ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م .
صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، جـ ٣ ، ص ٣٦٨ .

(٣) أفردت لهذه المدارس دراسة مستقلة مستفيضة قدمت إلى ندوة المدارس فى مصر الإسلامية ، والتى عُقدت بمقر الجمعية المصرية للدراسات التاريخية فيما بين ٢٢ – ٢٥ أبريل ١٩٩١ م ، وعنوان هذه الدراسة هو : « العلاقة بين النص التأسيسى والوظيفة والتخطيط المعمارى لمدارس القاهرة إبان العصر المملوكى » وقد ألقى هذا البحث مساء يوم الثلاثاء ٢٣ أبريل ١٩٩١ م . وقد نشرت هذه الندوة ضمن سلسلة تاريخ المصريين – العدد ٥١ – القاهرة ١٩٩٢ م .

(٤) كانت هذه المدرسة بجوار ديوان قايتباى بالقلعة الذى لا تزال بعض أجزائه باقية أسفل قصر الجوهرة ، وقد أمر بإنشائها إسماعيل باشا الوزير الذى تولى حكم مصر فيما بين ١١٠٧ – ١١٠٩ هـ / ١٦٩٥ – ١٦٩٧ م ، ورتّب فيها عددًا من المدرسين والطلبة والقراء ، وخصص لهم جوامك وجرايات . =

(بالقلعة) ، ومدرسة الحاج مصطفى بن عبد الله (بسويقه العزى) [١] .

وبالنسبه للمدرسة الثالثة – وهى المدرسة السنانية [٢] بالصنادقية بالأزهر – فقد جُددت تمامًا ، وتعرف الآن بزاوية كوسه سنان .

على أن هذا لا يعنى أن الحركة العلمية والفكرية قد توقفت خلال العصر العثمانى ، فمن جهة استمرت مدارس القاهرة التى شُيدت قبل العصر العثمانى تؤدى رسالتها على خير وجه ، فضلًا عن العديد من الجوامع ، ومن أهمها الجامع الأزهر الذى صار بحق دعامة الحركة الفكرية والعلمية خلال ذلك العصر ، ومن جهة ثانية رُتبت الدروس المختلفة فى الجوامع والزوايا التى شُيدت فى العصر العثمانى بمدينة القاهرة ، ومن أمثلتها كل من جامع إسكندر باشا ((مندثر) وجامع ميرزه (ببولاق) وجامع الكردى (بسويقه اللالا) وجامع عثمان كتخدا المعروف بجامع الكيخيا ، وجامع الفكهانى ، وجامع الشيخ مطهر ، وجامع الغريب ، وجامع الشواذلية ، وجامع الحفنى (مندثر الآن) وجامع محمود محرم ، والمشهد الحسينى ، وجامع محمد بك أبو الدهب ، وغير ذلك [٣] .

= ابن الوكيل : تحفه الأحباب ، ص ٢١٦ – ٢١٧ .

ابن عبد الغنى : أوضح الإشارات ، ص ١٩٨ – ١٩٩ .

على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ٦ ، ص ٢ – ٣ .

(١) كانت هذه المدرسة تقع داخل درب الهنود بخط سويقة العزى ، ويتضح من خلال ماورد فى الوثيقة أنها كانت مصممة وفق الطراز العثمانى الوافد ، حيث كانت تشتمل على إيوان واحد ، وخلاوِى الطلبه ، وحجرات للعاملين بها ، فضلا عن أنها تخلو من المئذنة والمنبر ، أى أنها كانت تشبه – مع بعض الاختلاف فى التفاصيل – كلًا من المدرسة السليمانية (بالسروجية) السابقة لها ، والمدرسة المحمودية (بشارع بورسعيد) اللاحقة عليها . معوفت عيسى : الطراز العثمانى فى منشآت التعليم بالقاهرة ، ص ٢٧١ – ٢٨٠ .

(٢) أمر بإنشاء هذه المدرسة سنان باشا والى مصر ، السابق الإشارة إليه (حاشية ٥ ص ١٢٤ من هذا البحث) وقد قام بالتدريس بها عدد كبير من الشيوخ والعلماء ورد ذكرهم فى المصادر التاريخية .

ابن عبد الغنى : المصدر السابق ، ص ١١٨ .

الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ٢٢٠ ، ٣٠٩ ، جـ ٢ ، ص ٤ ، ٢٦٣ ، جـ ٤ ، ص ١٦٠ .

على مبارك : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٤٥ .

(٣) حجة وقف مصطفى جوربجى ميرزه (أوقاف رقم ٥٣٥) ،

حجتا وقف عبد الرحمٰن كتخدا (أوقاف رقم ٩٤٠ – ٩٤١) ،

الجبرتى : المصدر السابق ، (ط دار الجيل) جـ ١ ص ٤٨٢ – ٤٨٤ ، ٥١٥ ، جـ ١ ص ٢٣٢ – ٢٣٣ ، ص ٤٨٢ – ٤٨٤ ، ٥١٥ ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ ، ٢٧٨ .

محمد حمزة الحداد : الطراز المصرى ، ص ٣٠ ، ٣٧٤ .

ولم يقتصر الأمر على مدينة القاهرة فحسب ، وإنما امتد النشاط العلمى والدينى إلى المدن المصرية المختلفة ، سواء فى الوجه البحرى – مثل المحلة الكبرى ، وطنطا ، ودسوق ، والإسكندرية ، ودمياط ، ورشيد ، وفوه ، وغيرها – أو فى الوجه القبلى – مثل الفيوم ، وجرجا ، وطهطا ، وأسيوط ، وفرشوط ، وغير ذلك [١] .

وتزخر المصادر التاريخية المختلفة بإشارات كثيرة تلقى الضوء على جوانب النشاط الدينى والعلمى الذى شهدته مصر العثمانية ، وننوه فى هذا الصدد بأهمية كتب التراجم والطبقات [٢] من جهة ، وكتب الرحالة [٣] من جهة أخرى ، فضلاً عن الوثائق العديدة التى تعج بها دور المحفوظات المختلفة ، سواء فى القاهرة أو فى المدن المصرية الأخرى .

هذا وقد صُممت المدرستان الباقيتان بمدينة القاهرة ، وهما المدرسة السليمانية (بالسروجية) (شكل ٢٩) ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م ، والمدرسة المحمودية (بشارع بورسعيد) ١١٦٤ هـ / ١٧٥٠ م ، (شكل ٣٠) وفق الطراز العثمانى الوافد ، سواء من حيث تخطيطهما المعمارى ، أو من حيث بعض عناصرهما المعمارية ، أو من حيث خلوهما من وجود المئذنة والمنبر ودكّة المُبَلِّغ أو المؤذن ، كما هو الحال فى معظم المدارس المصرية ، على أن هذا لا يعنى عدم وجود صبغة محلية خاصة فى كلتيهما .

---

(١) عبد الله عزباوى : الحركة الفكرية فى مصر فى القرن الثامن عشر ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٦ م ، ص ٦ – ١٦ .

(٢) نذكر من بين هذه الكتب كُلًّا من :

الغزى (نجم الدين) : الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ،

الشعرانى (عبد الوهاب) : الطبقات الكبرى ، والطبقات الصغرى ، والمنن والمآثر فى تراجم علماء القرن العاشر .

الحموى (مصطفى) : فوائد الارتحال ونتائج السفر فى أخبار القرن الحادى عشر (مخطوطة) ،

المحبى (محمد) : خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر .

ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب .

الأرميونى : وفيات القرن الحادى عشر (مخطوطة) .

المناوى (عبد الرءوف) : الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية .

المرادى : سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر .

الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار .

(٣) نخص بالذكر من بين هذه الكتب كُلًّا من : رحلة العياشى ، ورحلة عبد الغنى النابلسى ، ورحلة الورثيلانى ، والرحّالة التركى أولياجلبى .

ويتكون تخطيط هاتين المدرستين فى جوهره من صحن أوسط مكشوف ، تحيط به أربعة أروقة مغطاة بقباب ضحلة ، بواقع رواق بكل جانب يشرف على الصحن من خلال بائكة ذات ثلاثة عقود نصف دائرية فى المدرسة السليمانية ، وخمسه عقود نصف دائرية فى المدرسة المحمودية ، ويُستثنى من ذلك عقود بائكة الرواق الجنوبى الشرقى فى هذه المدرسة الأخيرة ، حيث حلت واجهة المسجد محل عقدين من عقود هذه البائكة .

ويتوسط الرواق الجنوبى الشرقى فى المدرسة السليمانية إيوان القبلة ، أما فى المدرسة المحمودية فقد حَلَّ محل هذا الإيوان مسجدٌ صغير ، عبارة عن حجرة مسقوفه بسقف خشبى يتوسط صدرها المحراب ، ولهذا المسجد مدخل مستقل خاص به يتوسط الرواق الجنوبى الشرقى .

هذا وتشغل الأضلاع الداخلية للأروقة خلاوى الطلبة ، وهى عبارة عن حجرات صغيرة مربعة مُغَطَّاة بقباب ضحلة ، وبينما تشغل هذه الخلاوى الأضلاع الأربعة فى المدرسة السليمانية نجد أنها تشغل ثلاثة أضلاع فقط فى المدرسة المحمودية ، وهى كل من الضلع الجنوبى الغربى ، والضلع الشمالى الغربى ، والضلع الشمالى الشرقى .

وتجدر الإشارة إلى أن المدرسة السليمانية تتميز بوجود إيوان يتوسط الرواق الشمالى الغربى ، وهو يقابل إيوان القبلة ويماثله ، إلَّا أنه يُعد بمثابة عنصر اتصال وحركة بين داخل المدرسة وخارجها ، حيث أن أرضية هذا الإيوان ماهى إلا امتداد طبيعى لدركاه المدخل الرئيسى للمدرسة .

وعند تأصيل هذا الطراز المعمارى لمدارس القاهرة العثمانية نجد أنه قد عُرف فى العمارة العثمانية ، وانتشر فى العديد من المدن التركية ، مثل أزنيق ، وبروسة ، وأدرنة ، واستانبول ، وغيرها .

ونستطيع أن نحصر نماذج هذا الطراز فى ثلاثة أنماط ، وذلك على النحو التالى :

النمط الأول : وهو عبارة عن صحن أوسط تحيط به ثلاثة أروقة مغطاة بقباب ضحلة ، بواقع رواق بكل جانب يشرف على الصحن من خلال بائكة ، وتشغل الأضلاع الداخلية لهذه الأروقة خلاوى الطلبة ، وهى عبارة عن حجرات مربعة مغطاة

بقباب ضحلة ، وتشغل هذه الخلاوى ثلاثة أضلاع فقط ، ويحوى هذا النمط أيوانًا واحدًا مُغطًى بقبة ، إما أن يتوسط خلاوى الطلبة – كما هو الحال فى كل من مدرسة سليمان باشا بأزنيق ١٣٣٦ م ، ومدرسة إسحاق باشا فى أينه كول ١٤٨٢ م [١] – وإما أن يتوسط الإيوان الضلع الرابع للصحن ، وهو الضلع الذى يخلو من وجود الرواق الرابع وخلاوى الطلبة – كما هو الحال فى كل من مدرسة بايزيد الأول ضمن مجمعه فى بروسه ١٣٩٠ – ١٣٨٥ م ، والمدرسه الخضراء فى بروسه ١٤٢١ م ، وبعض مدارس السلطان محمد الفاتح بمجمعه باستانبول ١٤٦٢ – ١٤٧٠ م ، وبعض مدارس السلطان سليمان القانونى بمجمعه باستانبول ١٥٥٠ – ١٥٥٧ م ، وغير ذلك [٢] .

النمط الثانى : وهو عبارة عن صحن أوسط تحيط به أربعة أروقة ، بواقع رواق بكل جانب يشرف على الصحن من خلال بائكة ، وتمتد خلاوى الطلبة خلف رواقين فقط من هذه الأروقة ، أى أنها تشغل ضلعين من أضلاع الصحن ، ويشغل الإيوان الضلع الثالث للصحن ، أما الضلع الرابع والأخير فيحتوى على باب الدخول للمدرسة ، فضلًا عن عدة شبابيك ، ويتجلى هذا النمط بوضوح فى المدرسه السليمية ضمن مجمع السلطان سليم الثانى بأدرنه ١٥٦٩ – ١٥٧٤ م ، فضلاً عن دار القراء بنفس المجمع أيضًا [٣] .

النمط الثالث : وهو عبارة عن صحن أوسط تحيط به أربعة أروقة ، بواقع رواق بكل جانب يشرف على الصحن من خلال بائكة ، وتشغل خلاوى الطلبة الأضلاع الداخلية لهذه الأروقة الأربعة ، ويتوسط أحد هذه الأروقة إيوانٌ أو حجرة مربعة مغطاة بقبة ، ومن أمثلة ذلك كل من مدرسة السلطان بايزيد الثانى ضمن مجمعه بأدرنة ١٤٨٤ – ١٤٨٨ م ، وبعض مدارس السلطان سليمان القانونى بمجمعه باستانبول ١٥٥٠ – ١٥٥٧ م ، إلا أن الأروقه مغطاة بأقبية متقاطعة [٤] .

---

(١) Goodwin, Op. Cit. PP. 39, 116, Fig, 31, 108.

(٢) Ibid. PP. 47, 69, 128, 217, Fig. 42, 62, 119, 208.

(٣) Ibid. P. 262, Fig. 250.

(٤) Ibid. PP. 146, 217, Fig. 135, 208.

أما مدرسه سوكلو محمد باشا باستانبول ٩٧٩ هـ / ١٥٧١ م فهى وإن كانت تنتمى إلى مدارس النمط الأول ، وخاصة مدرسة إسحاق باشا ، إلا أنها تنفرد عن غيرها من المدارس العثمانية بميزة هامة ، وهى أنها مندمجة مع كيان الجامع ، يفصل بينهما فقط الفناء الأوسط المكشوف الذى يتوسطه الشاذروان ، والذى يمكن اعتباره - أى الفناء المكشوف - صحنًا للمدرسة وحرمًا للجامع فى ذات الوقت ، وتلتف حول هذا الصحن أربعة أروقه مغطاة بقباب ضحلة ، الرواق الجنوبى منها يُعد بمثابة سقيفه الجامع التى تتقدمه ، ويتوسطها باب الدخول إليه ، أما الأروقة الثلاثة الأخرى فتشغل أضلاعها الداخلية حجرات الطلبة ، ويبلغ عددها نحو ست عشرة خلوة مغطاة بقباب ضحلة ، ويتوسط خلاوى الرواق الشمالى إيوان أو حجرة مربعة مغطاة بقبة (١) .

كذلك فقد عُرِفَ هذا الطراز المعمارى فى بعض البلاد العربية ، نذكر من بينها سوريا ، ومن الأمثلة الباقية : التكية السليمانية (٢) بدمشق ٩٦٢ - ٩٦٧ هـ / ١٥٥٤ - ١٥٥٩ م ، والمدرسة السليمانية (٣) المجاورة للتكية المذكورة ، وتؤرخ بسنة ٩٧٤ هـ / ١٥٦٦ م .

---

(١) عن الدراسة التفصيلية لمجموعة سوكلو محمد باشا المعمارية باستانبول انظر :

Kuban (D.), An Ottoman building complex of the sixteenth century: the sokollu Mosque and its dependencies in Istanbul. Ars Orientalis, Vol. 7 University of Michigan, 1968. PP. 19-39.

(٢) أمر بإنشائها السلطان سليمان القانونى ، ويتكون تخطيطها من صحن أوسط مكشوف محاط بأروقة مسقوفة بالقباب ، ويقسمها المحور الممتد بين البابين الشرق والغربى إلى قسمين : جنوبى ، ويحتوى على جامع يتوسط الضلع الجنوبى ، فى حين يحتوى كل من الضلعين الجانبين الشرقى والغربى على ست خلاوٍ ، بكل ضلع يتقدمها رواق مغطى بقباب يشرف على الصحن من خلال بائكة ، أما القسم الشمالى فيحتوى على مطبخ ومستودعات فى الوسط وقاعتين كبيرتين فى الطرفين الشرقى والغربى .

سليم عادل عبد الحق ، وخالد معاذ : مشاهد دمشق الأثرية ، دمشق ١٩٥٠ م ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

عبد القادر الريحاوى : الأبنية الأثرية بدمشق ١ : التكية والمدرسة السليمانيتان بدمشق (الحوليات الأثرية السورية - مج ٧ - جـ ١ - ٢ - دمشق ١٩٥٧ م) ص ١٢٦ .

(٣) تقع هذهالمدرسة إلى الشرق من التكية ، وتبعد عنها بحوالى ١٥ م ، ويتكون تخطيطها من صحن أوسط مكشوف تحيط به أروقة مسقوفة بقباب ، تمتد خلفها خلاوى الطلبة ، ويتوسط الضلع الجنوبى مسجد ، عبارة عن حجرة مربعة مغطاة بقبة كبيرة .

الريحاوى : المرجع نفسه ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

ومن البلاد العربية الأخرى ليبيا ، وتحتفظ مدينة طرابلس بنموذج باق يرجع إلى العصر العثمانى الأول (٩٥٩ - ١١٢٣ هـ / ١٥٥١ - ١٧١١ م) وهو مدرسه عثمان باشا [١] ١٠٦٤ هـ / ١٦٥٣ م التى اتخذت أنموذجًا نُسج على منواله فى تخطيط المدارس اللاحقه ، مثل مدرسة أحمد باشا القرمانلى ١١٥٠ - ١١٥١ هـ / ١٧٣٧ - ١٧٣٨ م [٢] ، ومدرسة قورجى ١٢٤٩ - ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٣ - ١٨٣٤ م [٣] .

• • •

---

(١) تعد من المدارس الشهيرة بطرابلس ، وقد أمر بإنشائها عثمان باشا الساقزلى ، والى طرابلس فيما بين ١٠٥٩ - ١٠٨٣ هـ / ١٦٤٩ - ١٦٧٢ م ، ويتكون تخطيط هذه المدرسة من صحن أوسط مكشوف تحيط به أربعة أروقة مقبية ، بواقع رواق بكل جانب ، ينصرف على الصحن من خلال بائكة ذات ثلاثة عقود نصف دائرية ، وتوجد خلف هذه الأروقة خلاوى الطلبة ، وهى عباره عن حجرات صغيرة مقبية أيضًا ، ويلاحظ أن مسجد المدرسة لا يتوسط أحد الأروقه وحجرات الطلبة كما هو الحال فى النماذج المصرية والعثمانية ، وإنما يشغل ركن المدرسة ، وهو عبارة عن حجرة مربعة مغطاة بقبة ، ويلاصق المسجد مدفن المنشىء ، وهو مغطى بقبة تماثل قبه المسجد .

مسعود رمضان شقلوف : موسوعه الآثار الإسلامية فى ليبيا ، جـ ١ ، ص ٨١ - ٨٥ .

(٢) أمر بإنشاء هذه المدرسة أحمد باشا القرمانلى مؤسس القرمانلية التى أعقبت العصر العثمانى الأول ، وتقع ضمن مجموعة معمارية تضم جامعا ومدرسة وتربة ، وقد تحدثنا من قبل عن تخطيط الجامع ، أما المدرسة فيشبه تخطيطها مدرسة عثمان باشا مع بعض الاختلاف فى العناصر والتفاصيل .

ميسانا : المعمار الإسلامى فى ليبيا ، ص ١٨٤ - ١٩٤ .

مسعود رمضان : المرجع السابق ، ص ٩٨ - ١٠٧ .

(٣) أمر بإنشاء هذه المدرسة مصطفى قورجى ، الذى كان يشغل المنصب الأكبر فى البحرية ، وقد صار فيما بعد صهرًا ليوسف باشا القرمانلى ، وأحد ثقاته ، وتقع هذه المدرسة ضمن مجموعة معمارية تضم أيضًا جامعًا وتربة ، ويكاد يماثل تخطيط المدرسة مثيله فى مدرسة أحمد باشا القرمانلى .

ميسانا : المرجع السابق ، ص ١٩٤ - ٢٠٢ .

مسعود رمضان : المرجع السابق ، ص ١٠٨ - ١١٢ .

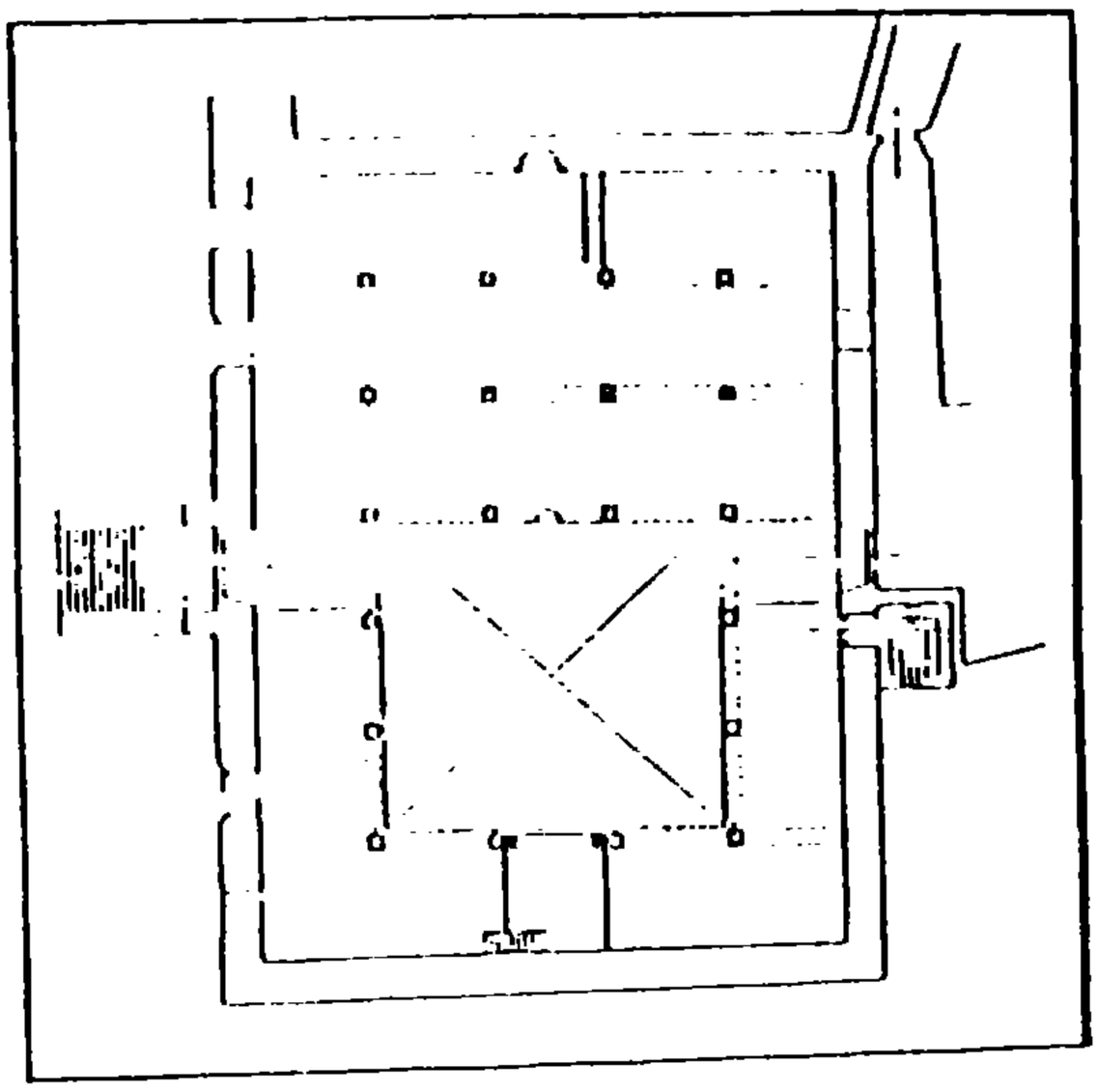

شكل (١) : المسقط الأفقى لجامع عثمان كتخدا (الكخيا)

(عن : حسن عبد الوهاب)

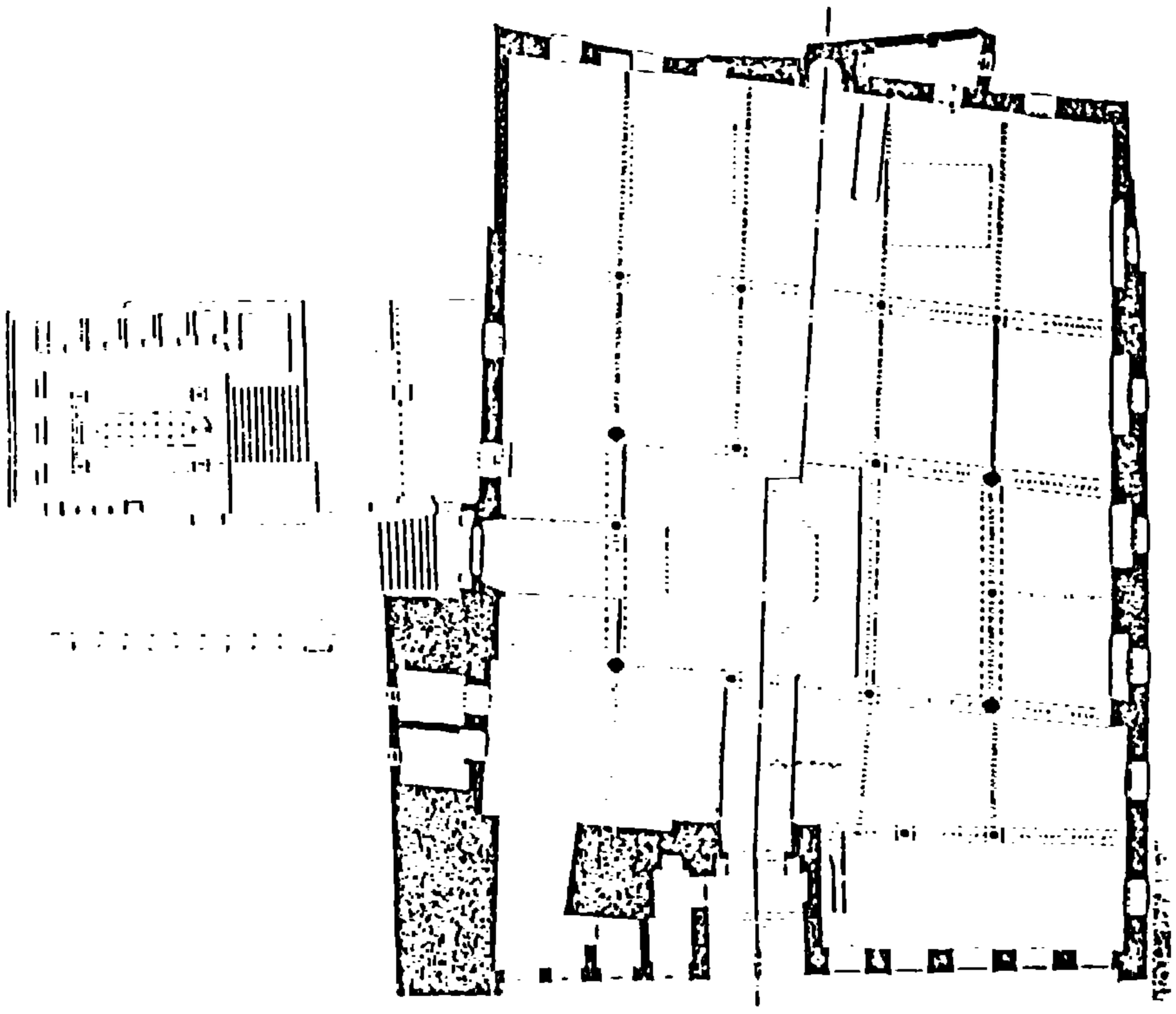

شكل (٢) : المسقط الأفقى لجامع الفكهانى

(عن : هيئة الآثار)

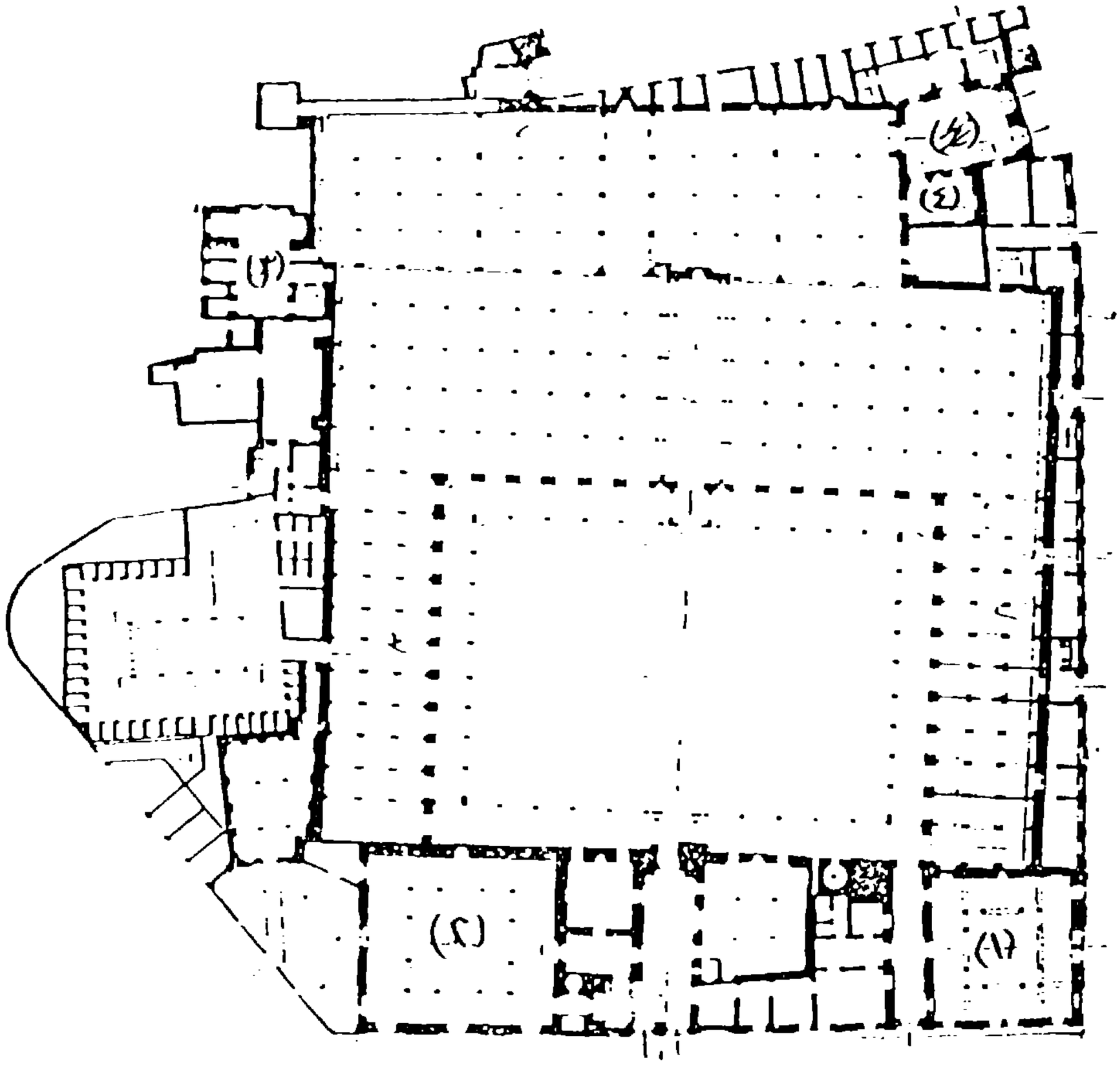

شكل (٣) : المسقط الأفقى لجامع الأزهر

١ – المسقط الأفقى للمدرسة الطيبرسية

٢ – المسقط الأفقى للمدرسة الأقبغاوية

٣ – المسقط الأفقى للمدرسة الجوهرية

٤ – المسقط الأفقى لمدفن الأمير عبد الرحمن كتخدا

(عن : حسن عبد الوهاب)

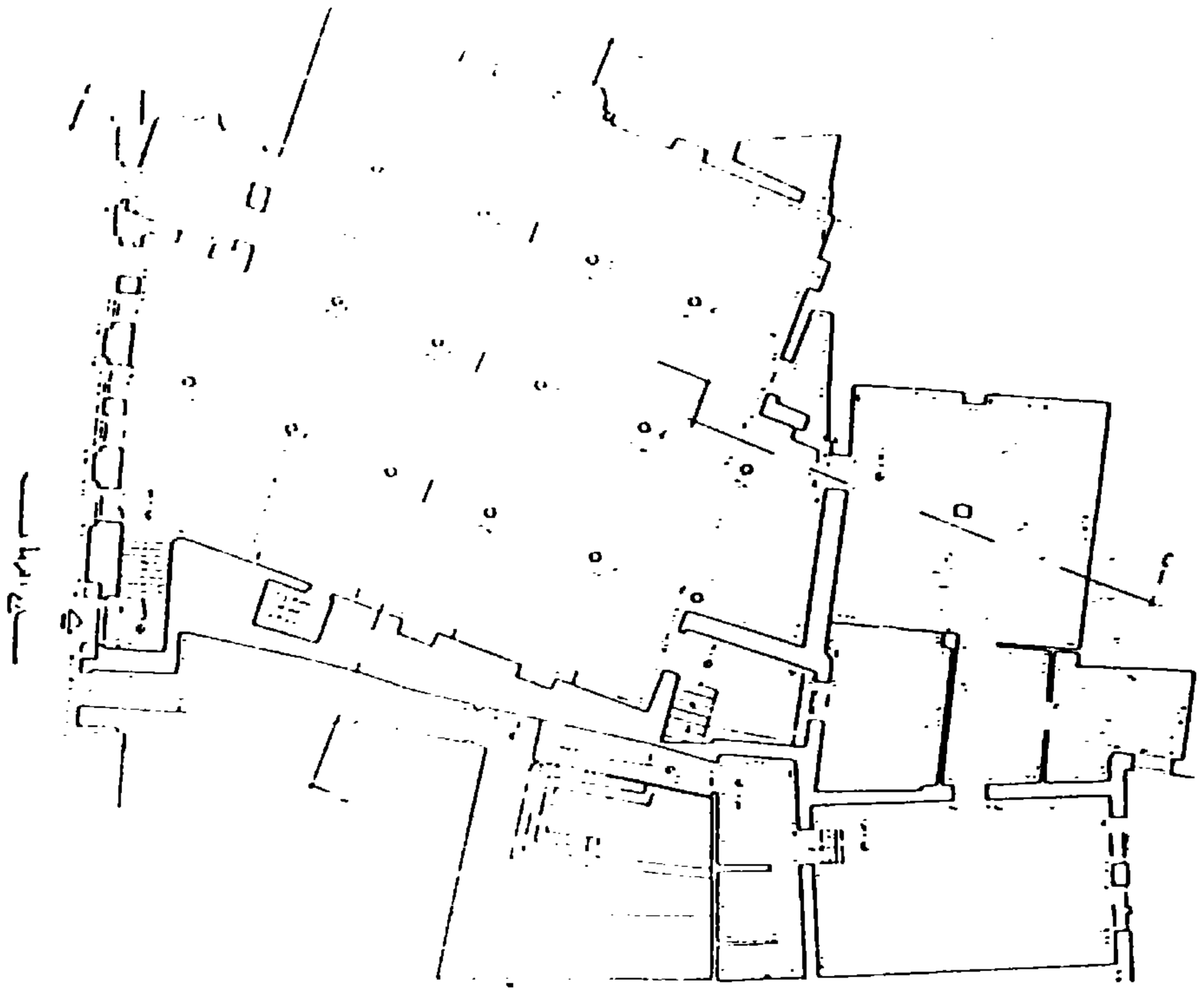

شكل (٤) : المسقط الأفقى لجامع العريان

(عن : هيئة الآثار)

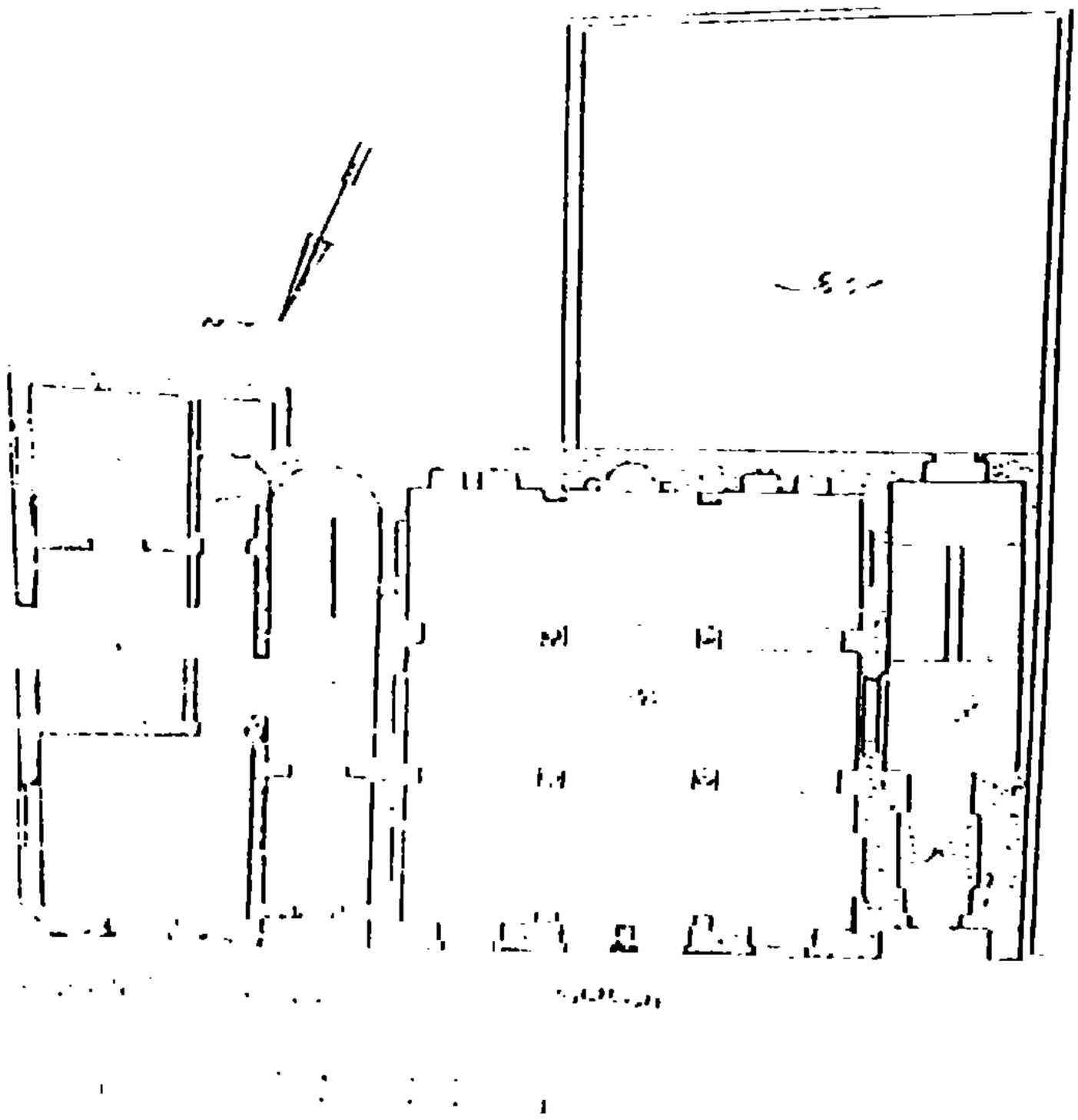

شكل (٥) : المسقط الأفقى لجامع مراد باشا

(عن : هيئة الآثار)

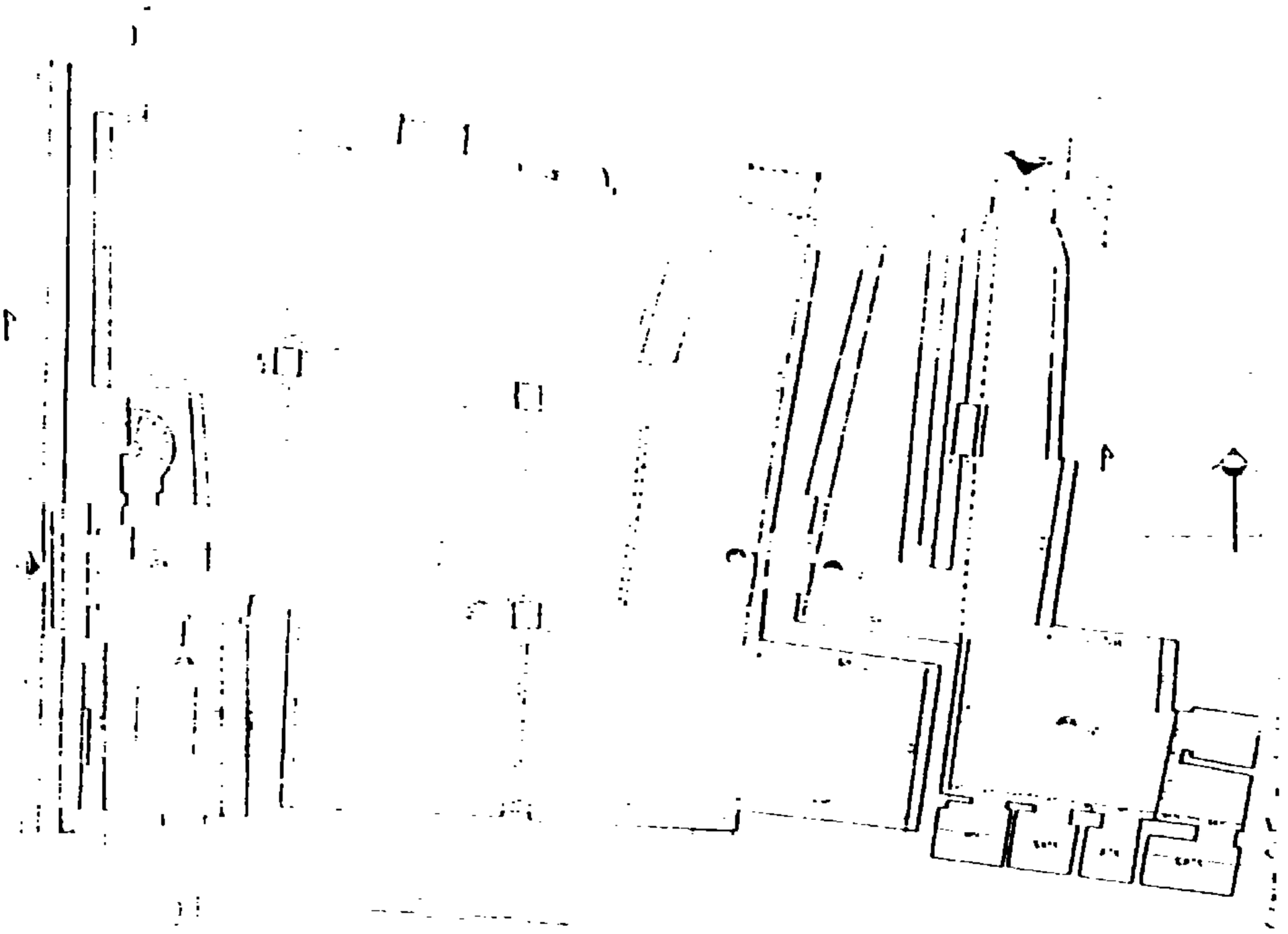

شكل (٦) : المسقط الأفقى لجامع الشيخ رمضان
(عن : هيئة الآثار)

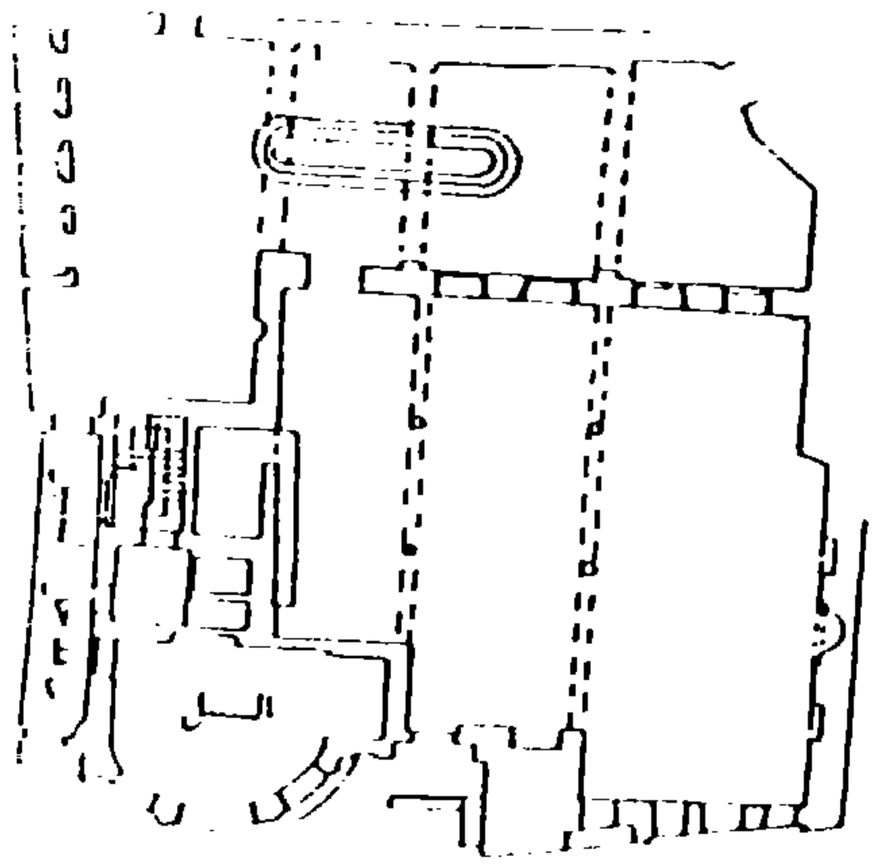

شكل (٧) : المسقط الأفقى لجامع جنبلاط
(عن : محمود الحسينى : الأسبلة العثمانية)

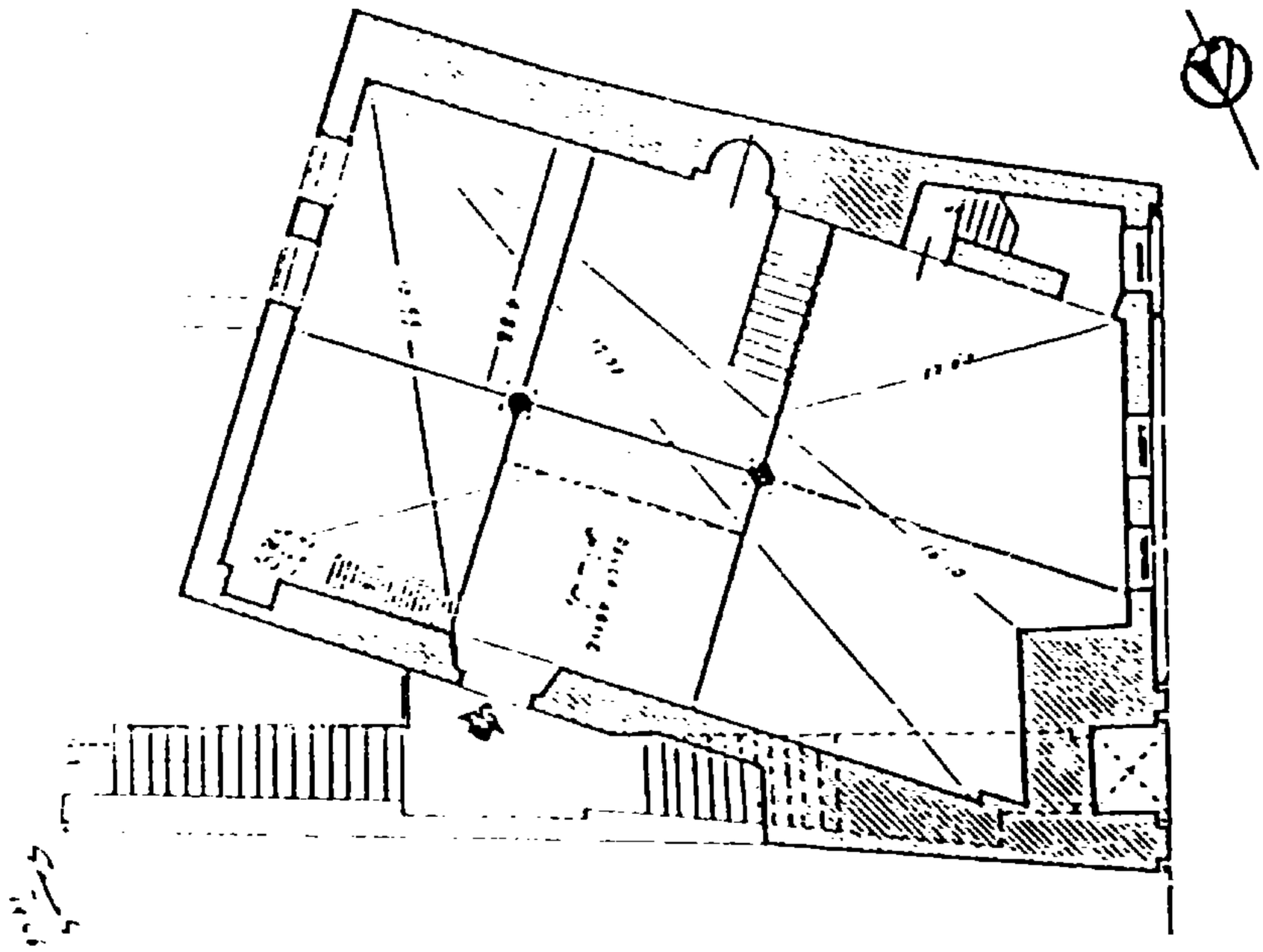

شكل (٨) : المسقط الأفقى لجامع الشواذلية

(عن : كمال الدين سامح)

شكل (٩) : المسقط الأفقى لجامع الحبشلى (الباحث)

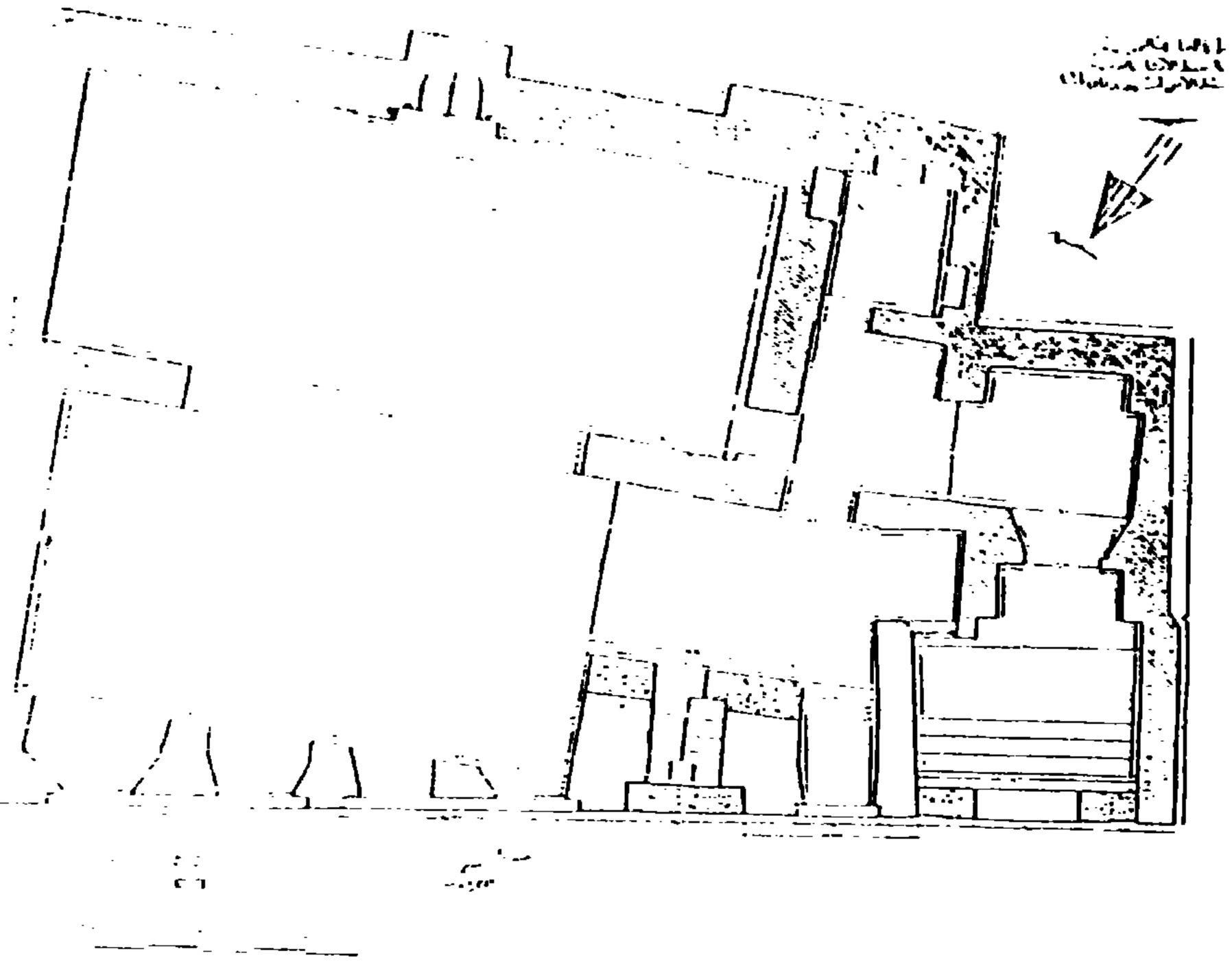

شكل (١٠) : المسقط الأفقى لجامع داود باشا

(عن : هيئة الآثار)

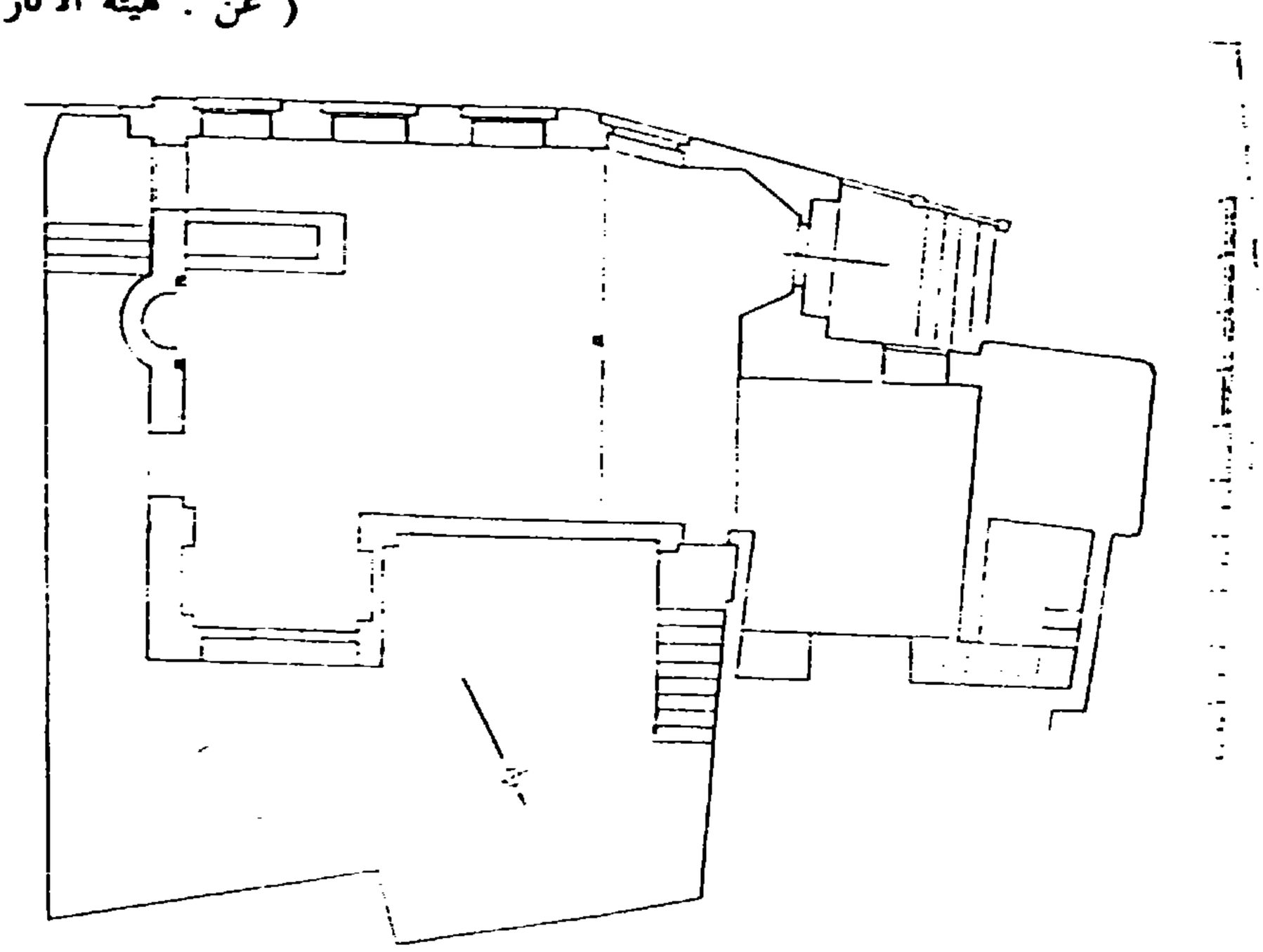

شكل (١١) : المسقط الأفقى لجامع البرديني

(عن : هيئة الآثار)

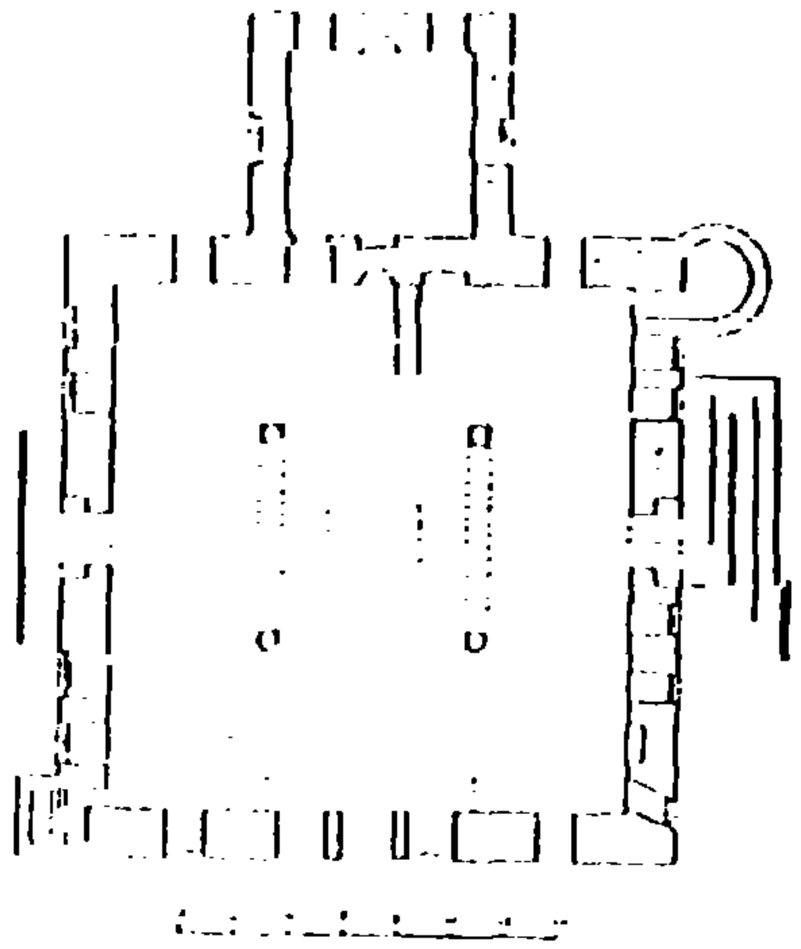

شكل (١٢) : المسقط الأفقى لجامع المحمودية
(عن : حسن عبد الوهاب)

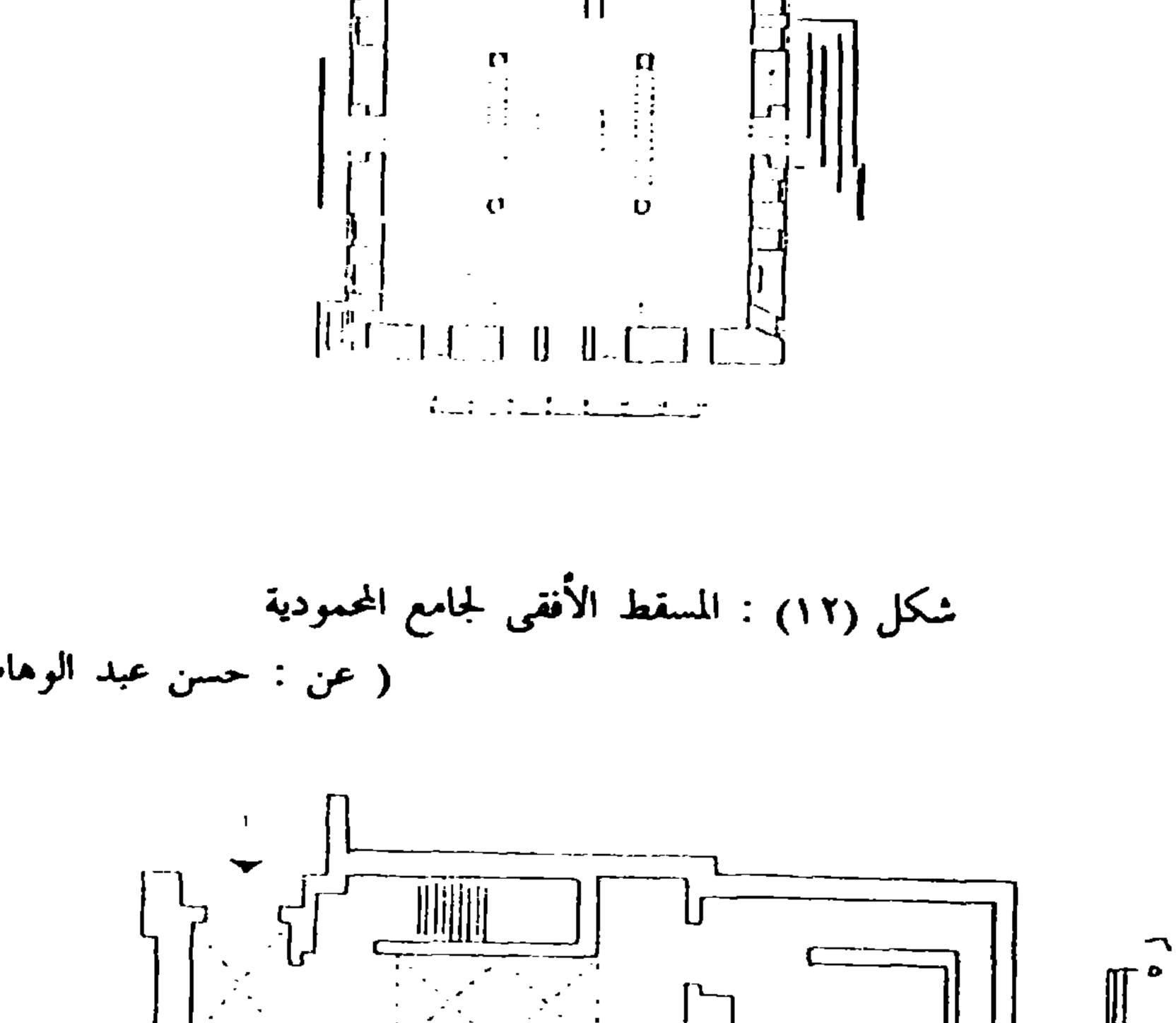

شكل (١٣) : المسقط الأفقى لجامع عبد اللطيف القرافى (الباحث)

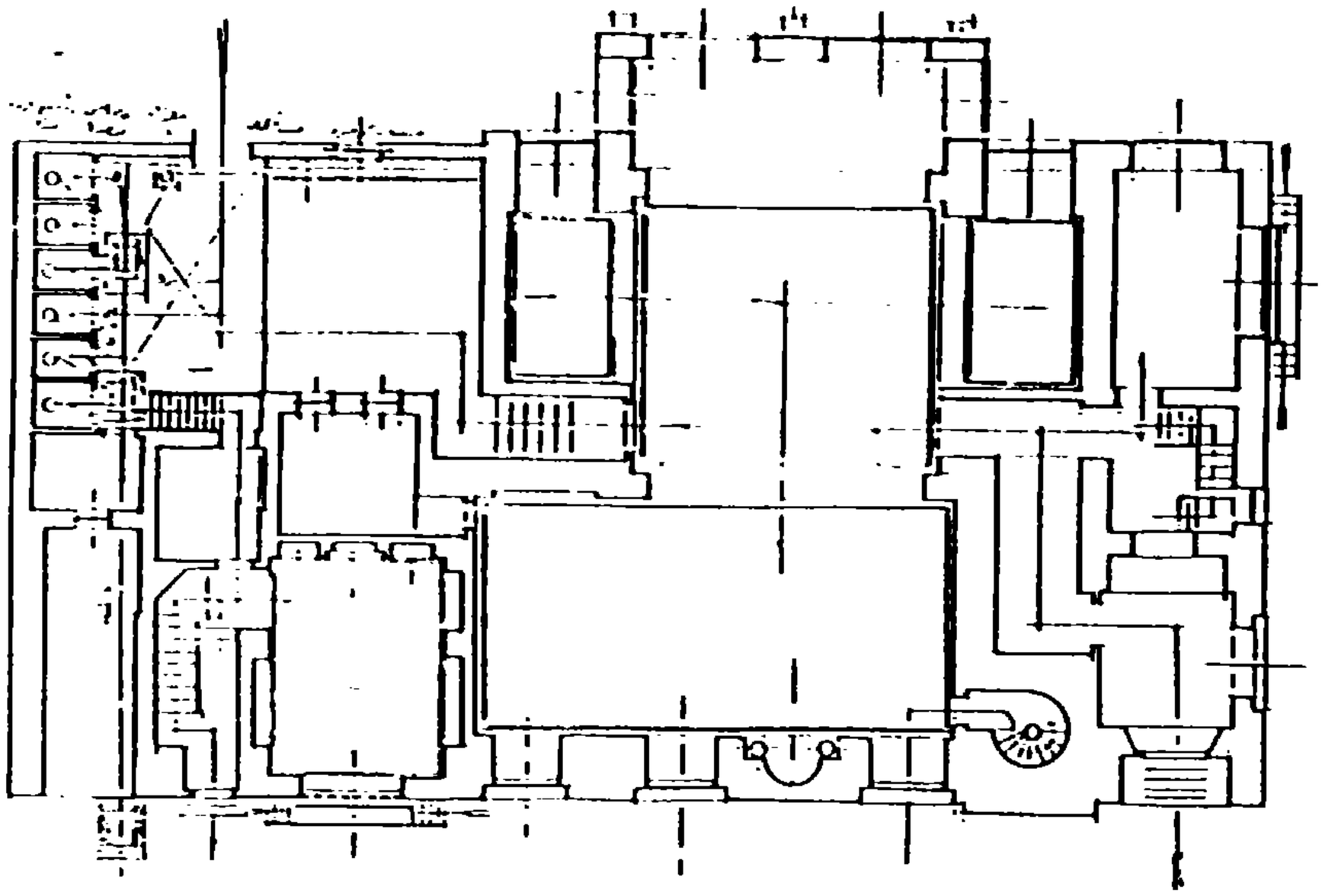

شكل (١٤) : المسقط الأفقى لجامع يوسف الحين

(عن : هيئة الآثار)

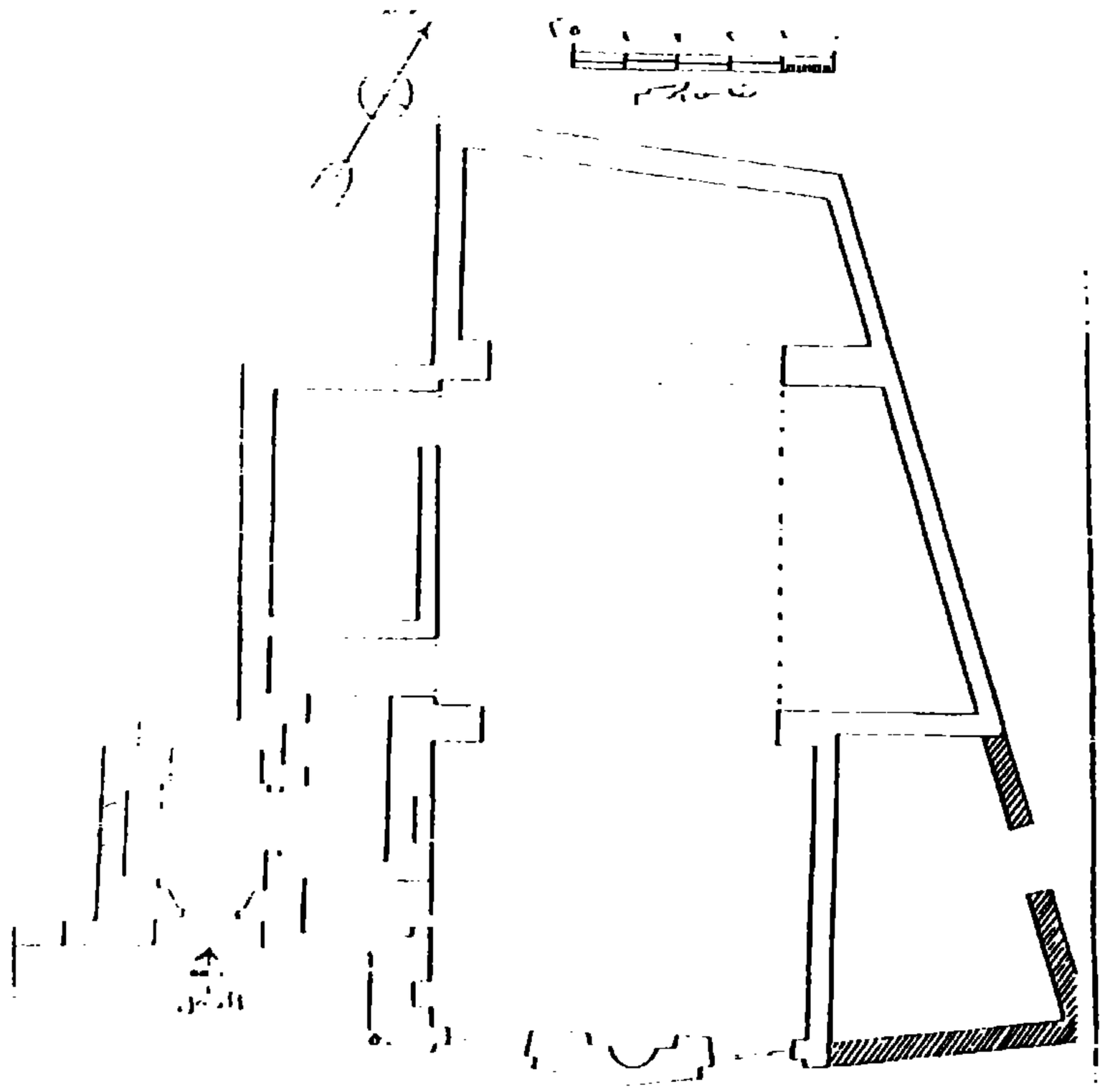

شكل (١٥) : المسقط الأفقى لجامع محب الدين أبو الطيب (الباحث)

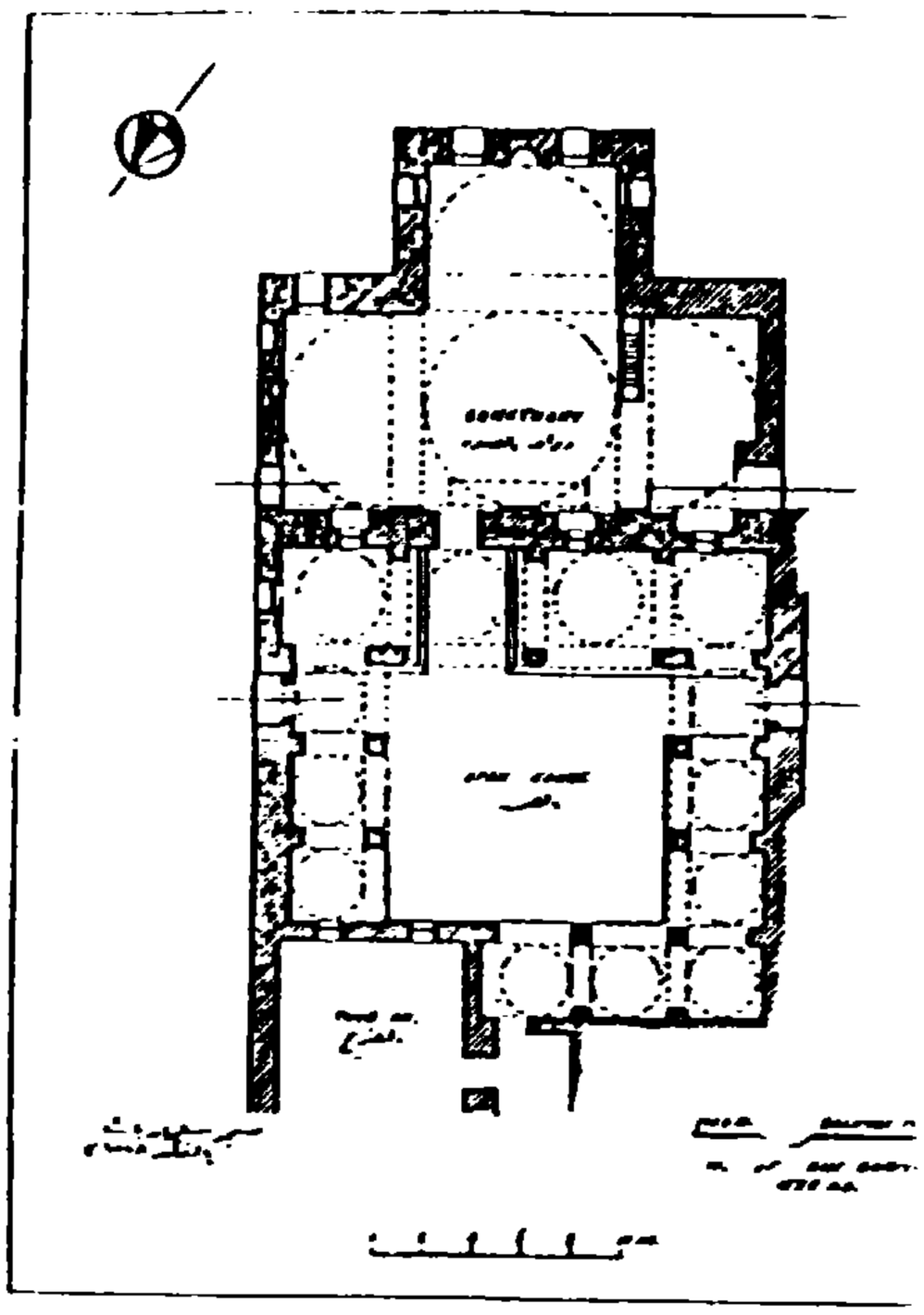

شكل (١٦) : المسقط الأفقى
لجامع سليمان باشا (سارية الجبل)
(عن : كمال الدين سامح)

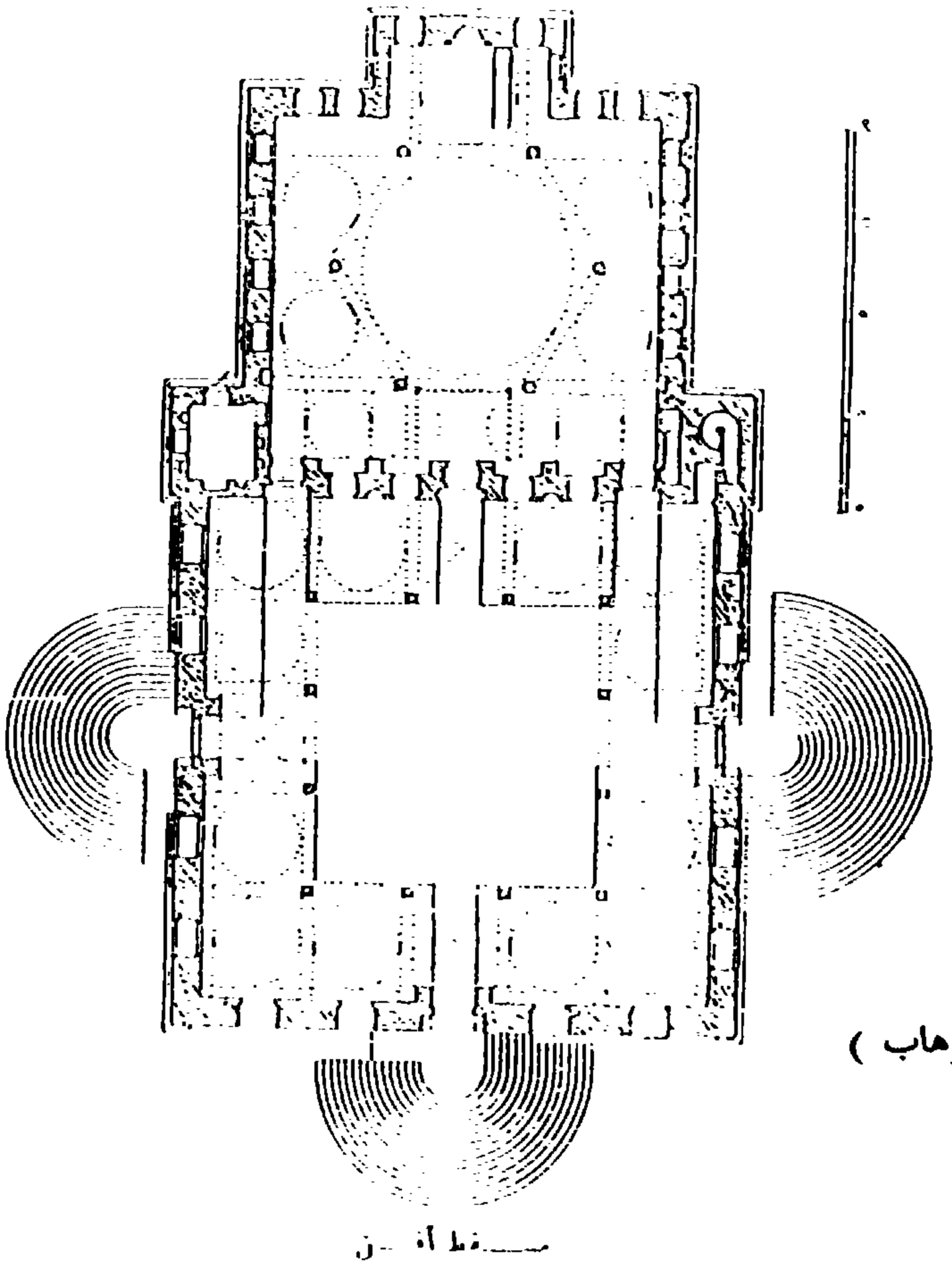

شكل (١٧)
: المسقط الأفقى
لجامع الملكة صفية
(عن : حسن عبد الوهاب)

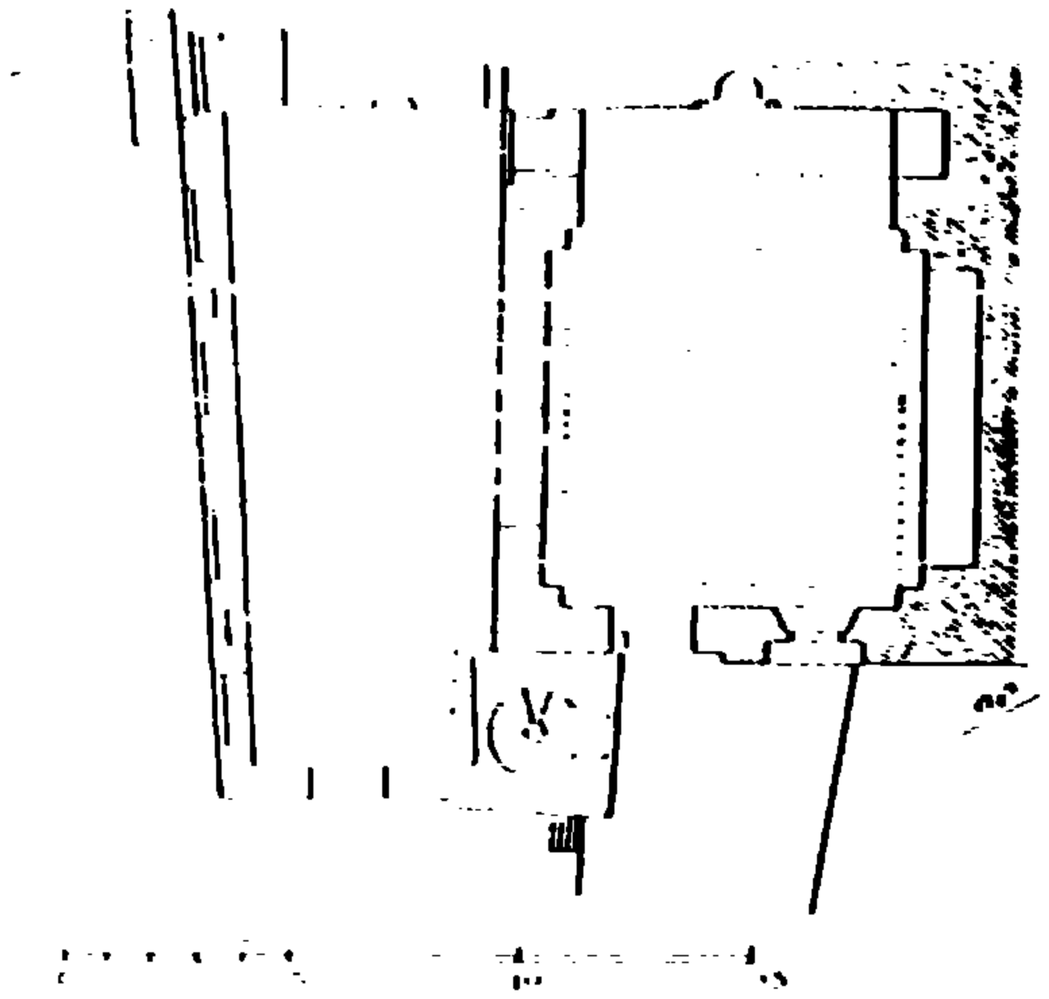

شكل (١٨) المسقط الأفقى لجامع أحمد كتخدا العزب

(عن : محاضر اللجنة)

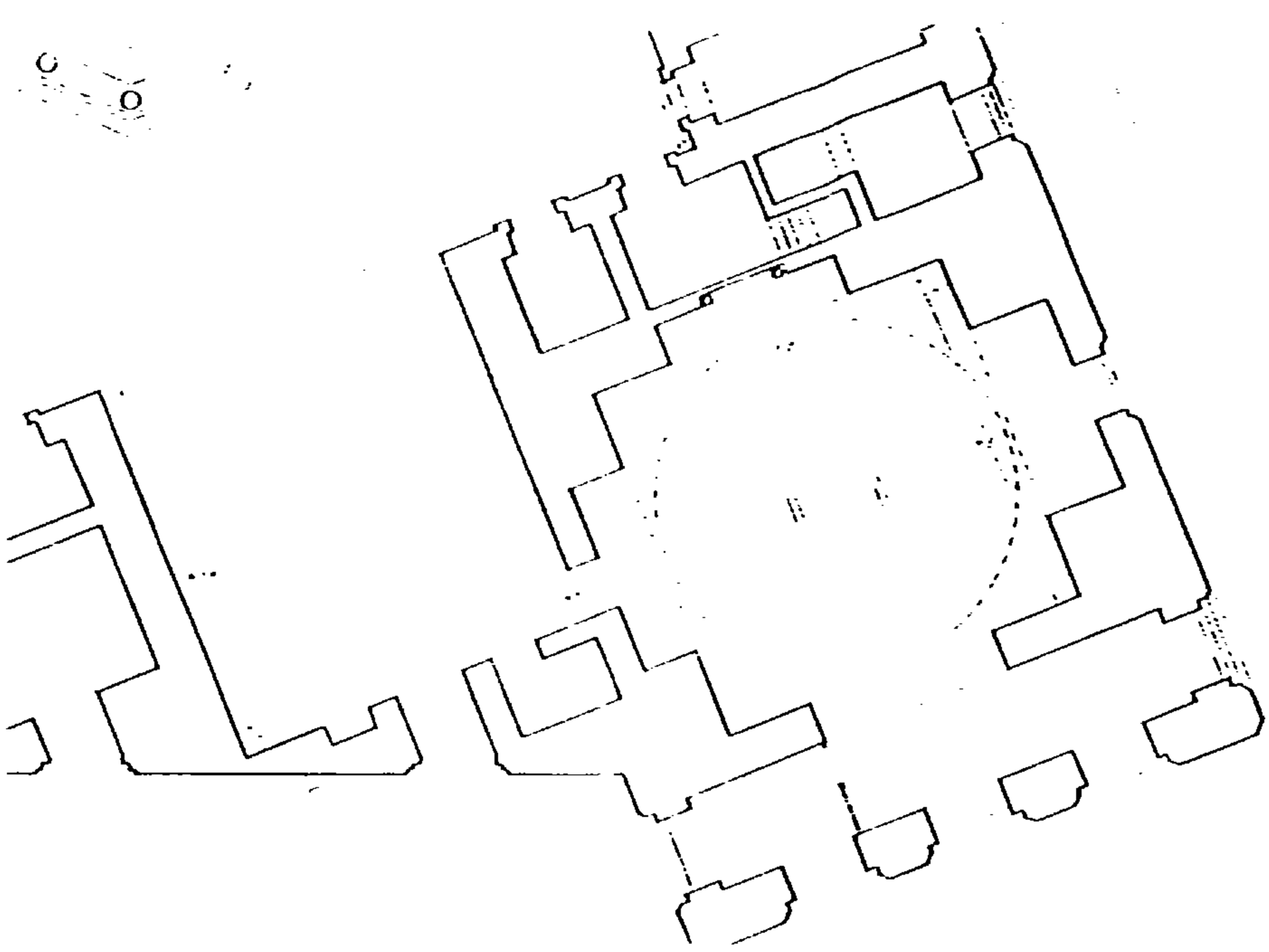

شكل (١٩) : المسقط الأفقى لقبة الأمير صرغتمش الملحقة بمدرسته

(عن : هيئة الآثار)

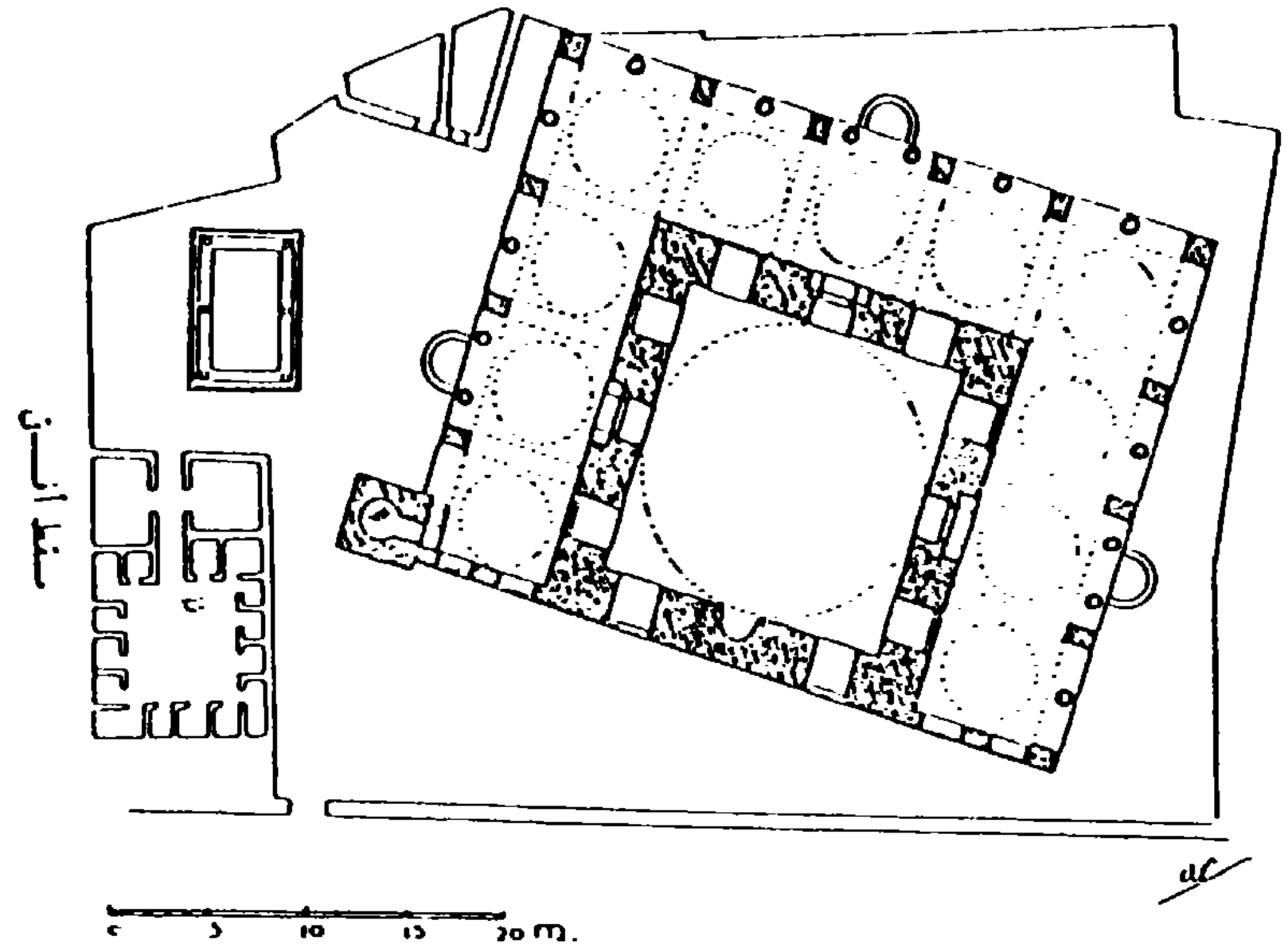

شكل (٢٠) : المسقط الأفقى لجامع سنان باشا

(عن : حسن عبد الوهاب)

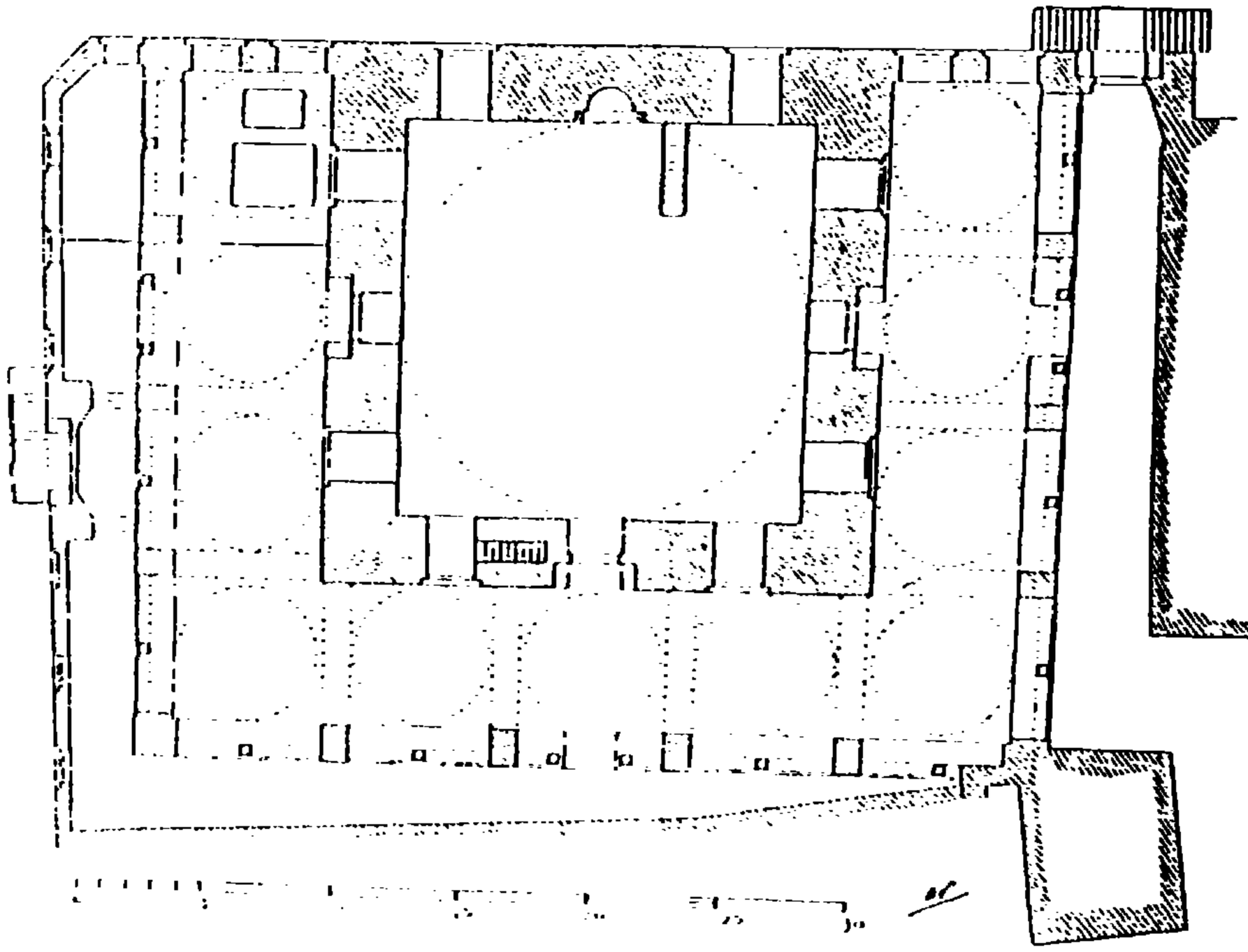

شكل (٢١) : المسقط الأفقى لجامع محمد أبو الدهب

(عن : حسن عبد الوهاب)

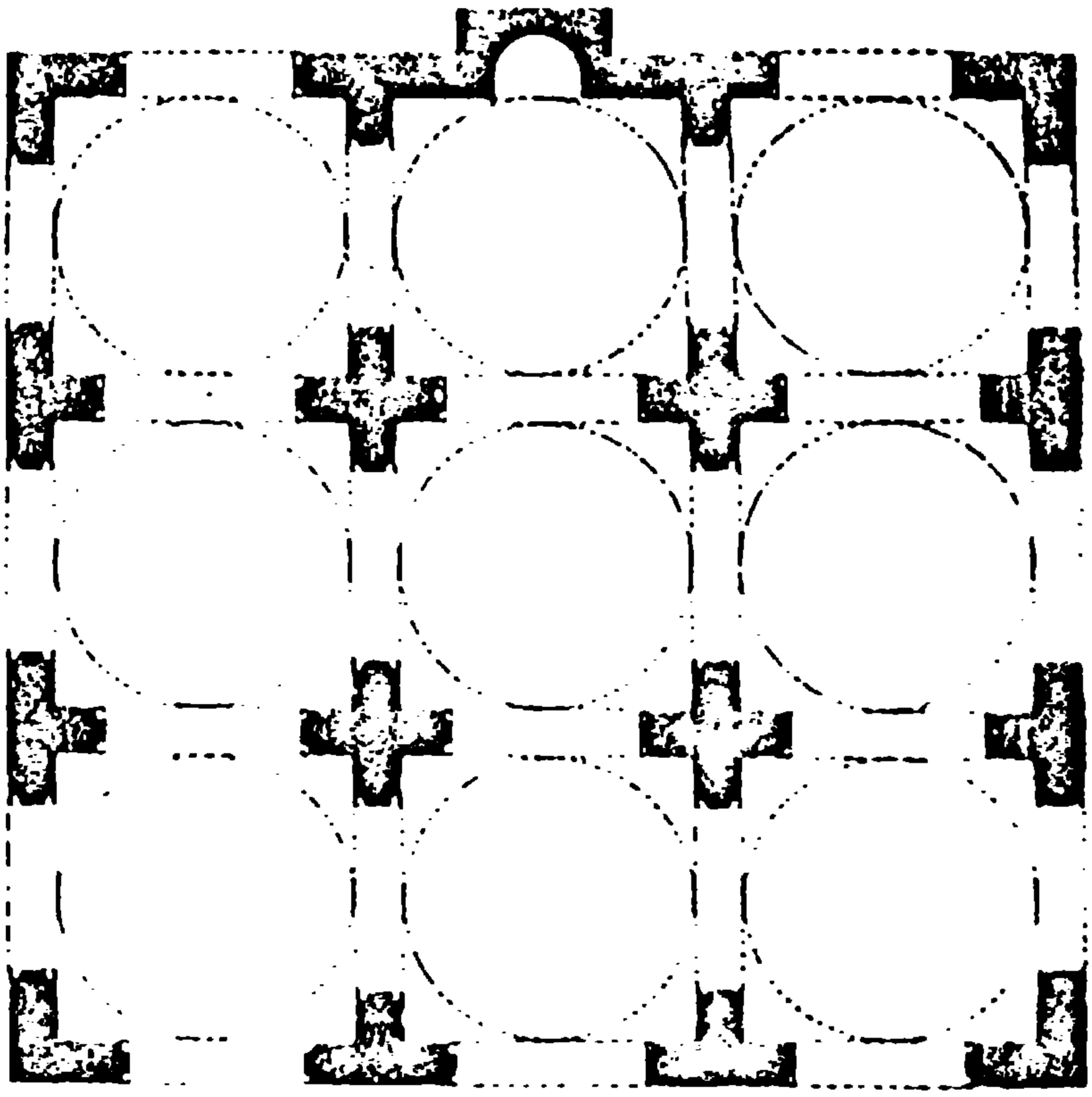

شكل (٢٢) : المسقط الأفقى لمشهد آل طباطبا

(عن : كريزويل)

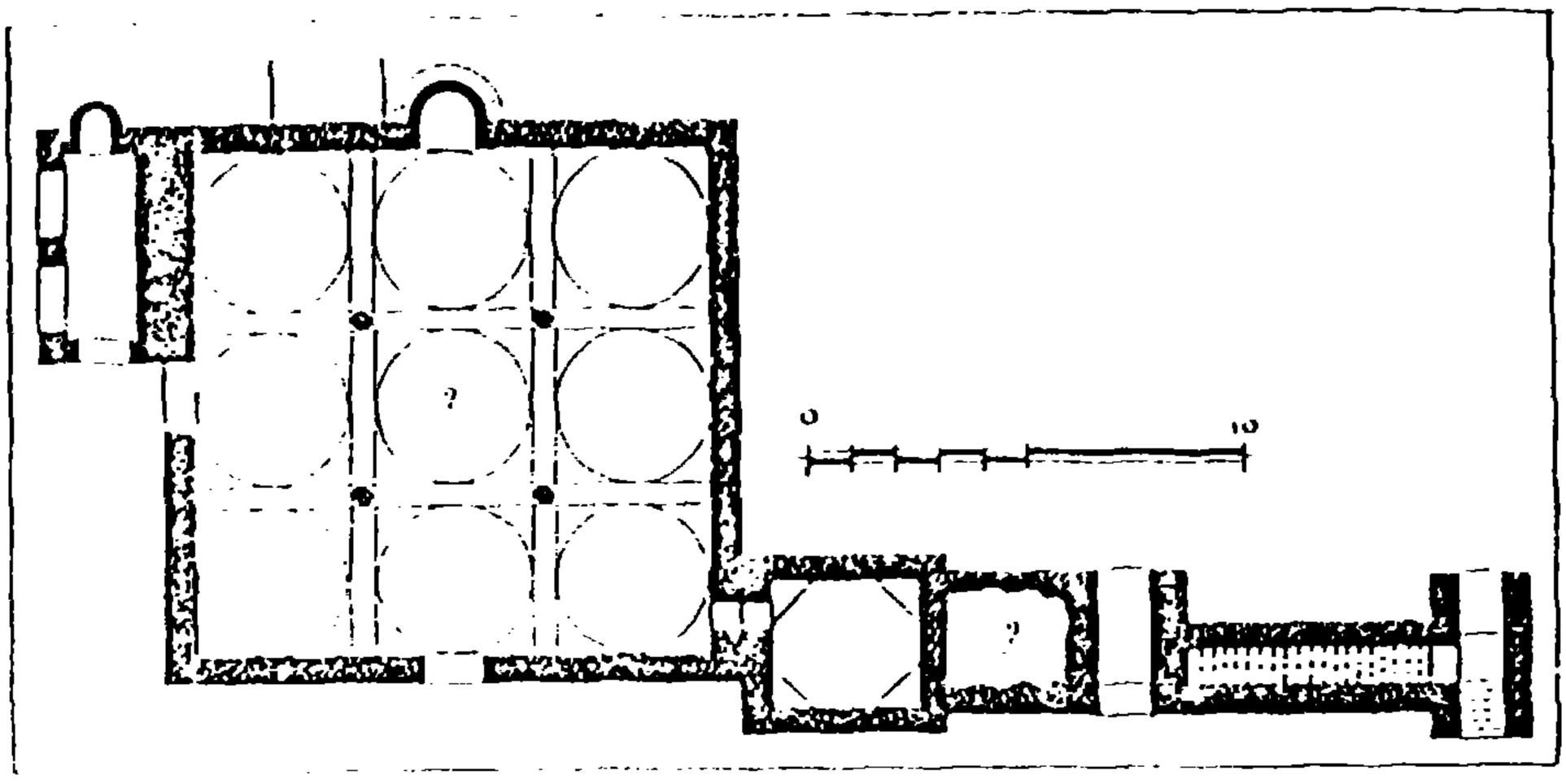

شكل (٢٣) : المسقط الأفقى لمشهد السبع وسبعين ولى بأسوان
(عن : مونريه ديفلارد)

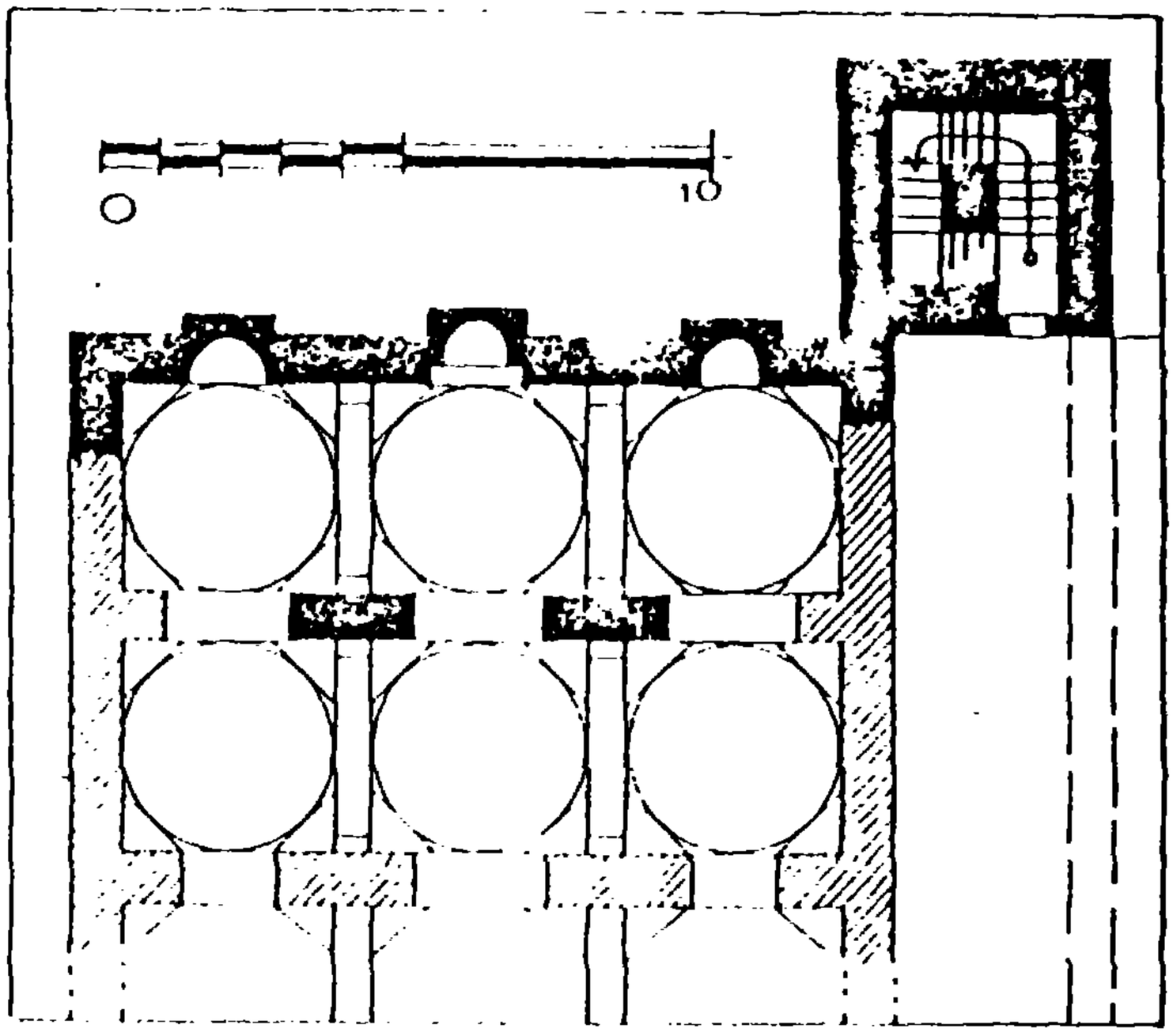

شكل (٢٤) : المسقط الأفقى للمشهد القبلى بالشلال بأسوان
(عن : مونريه ديفلارد)

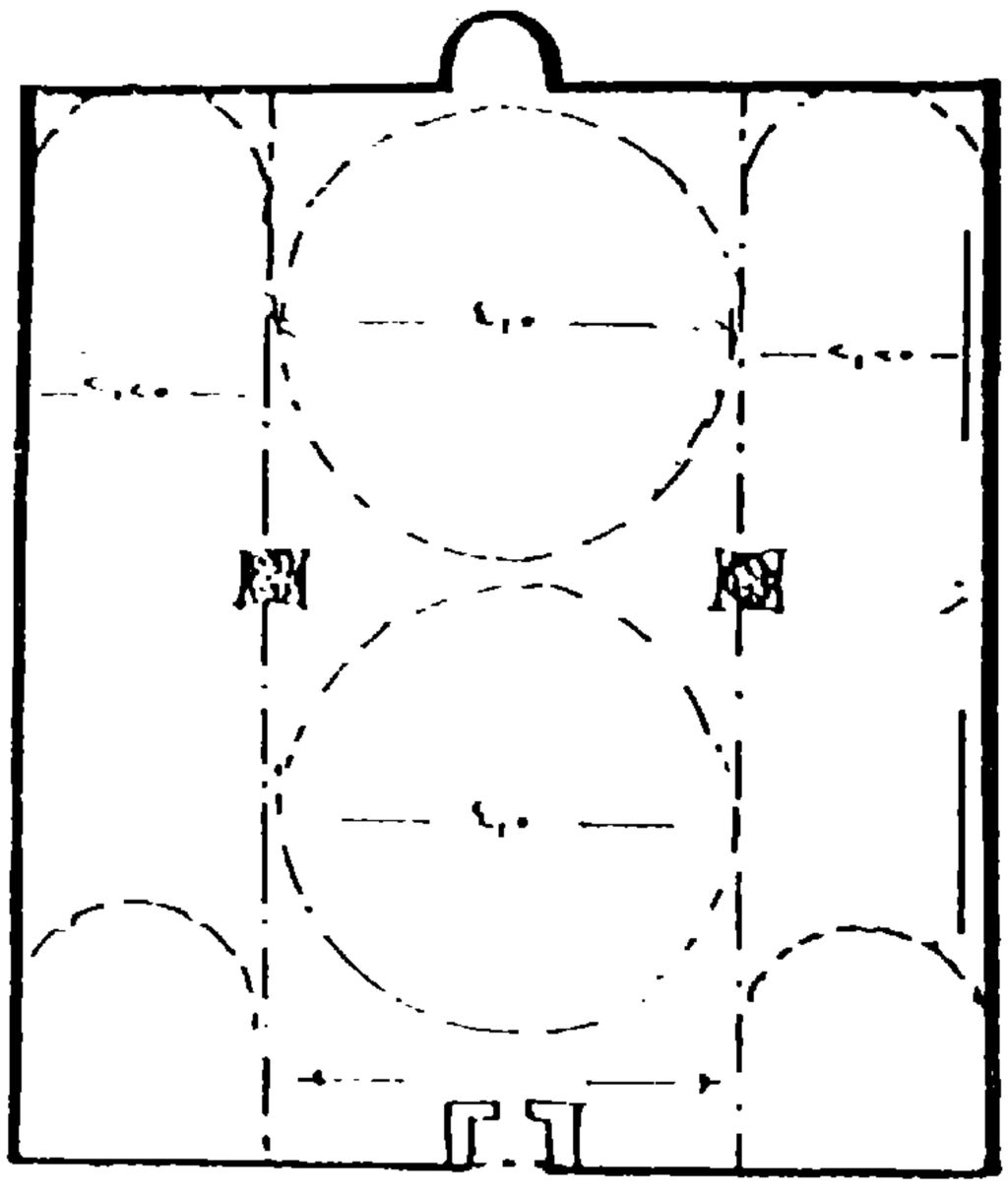

شكل (٢٥) : المسقط الأفقى لزاوية حسن الرومى
(عن : سعاد ماهر)

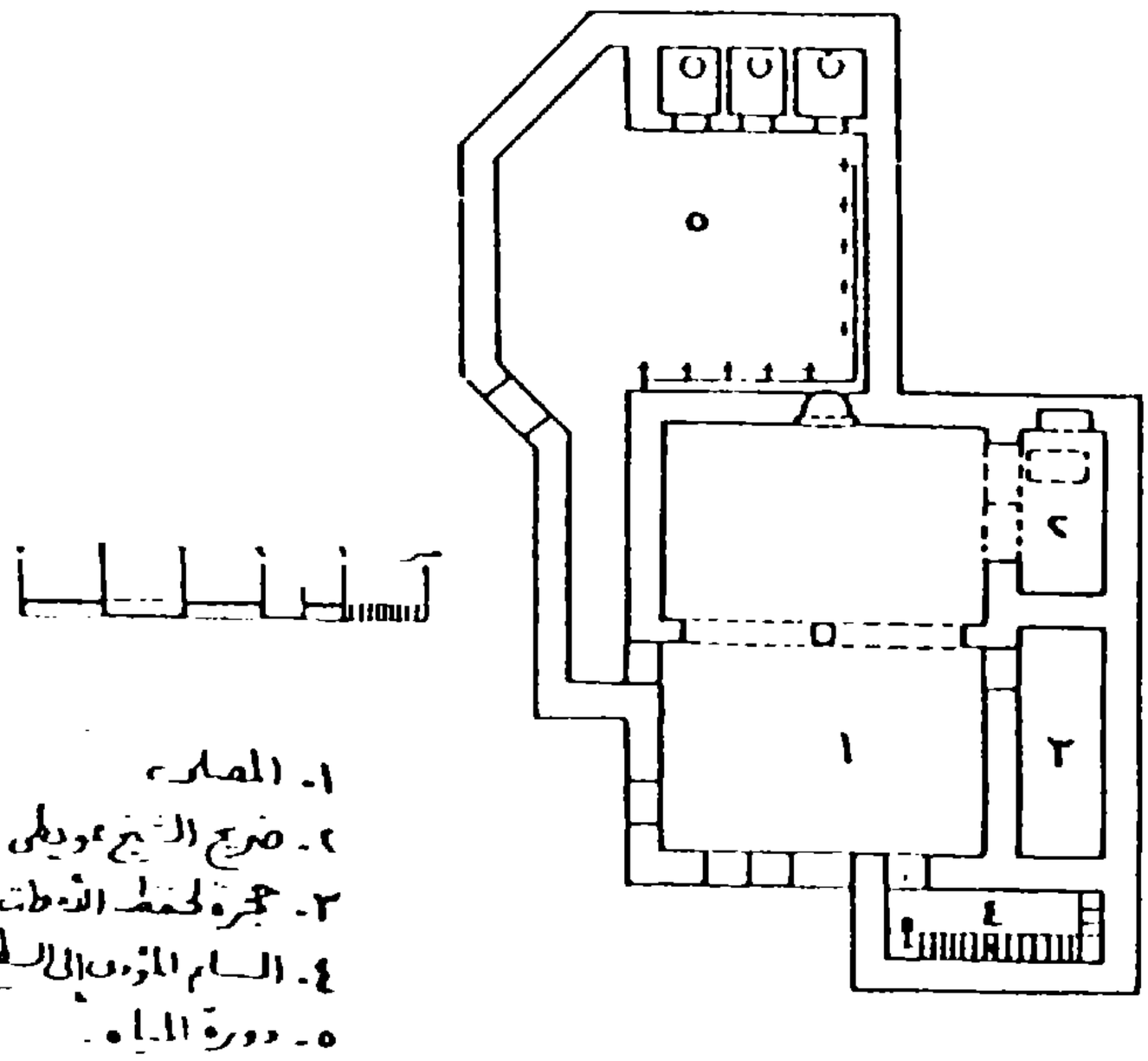

شكل (٢٦) : المسقط الأفقى لزاوية رضوان بك
(عن : جمال عبد الرءوف)

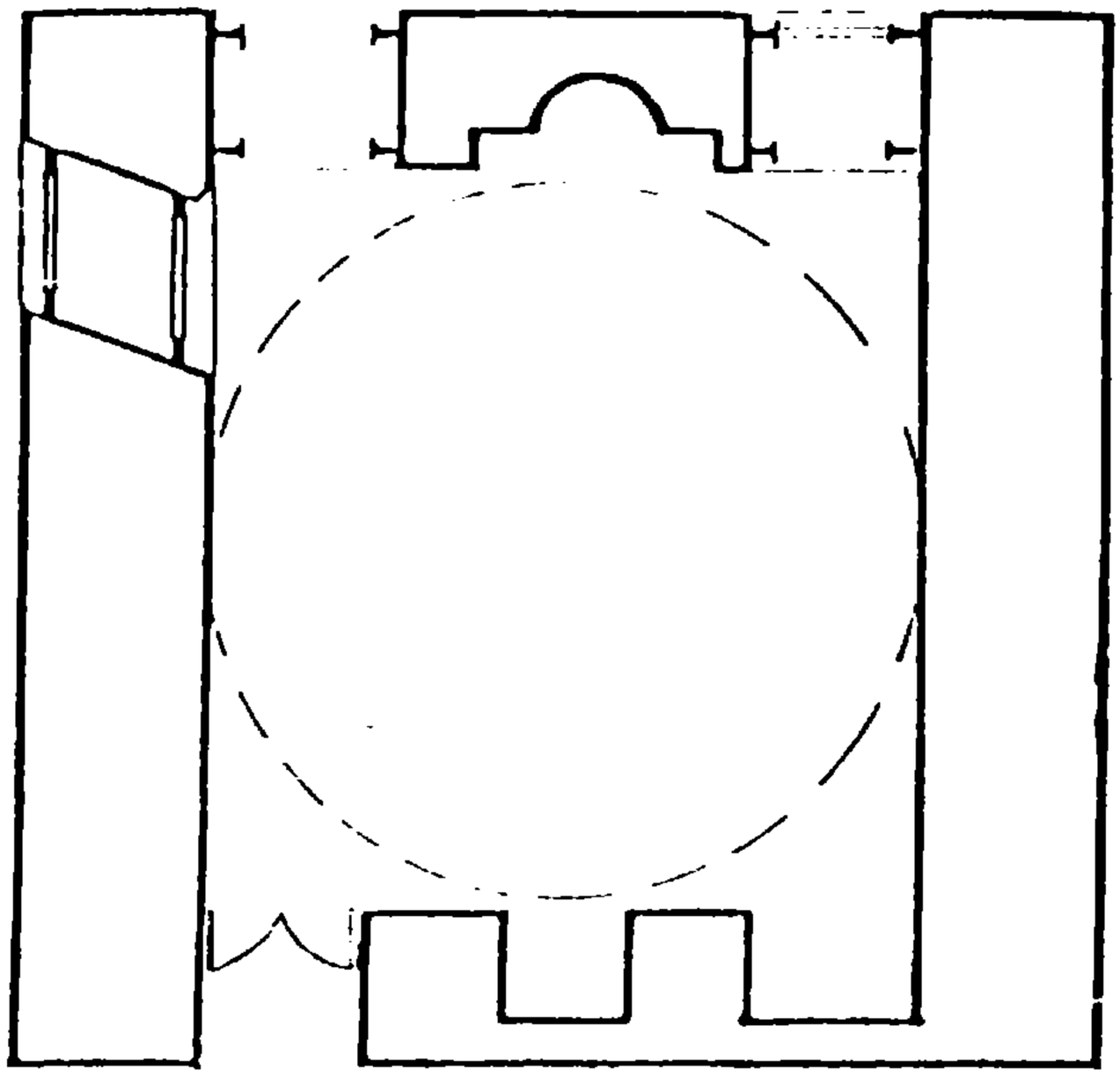

شكل (٢٧) : المسقط الأفقى لزاوية الشيخ سعود
(عن : حمزة عبد العزيز)

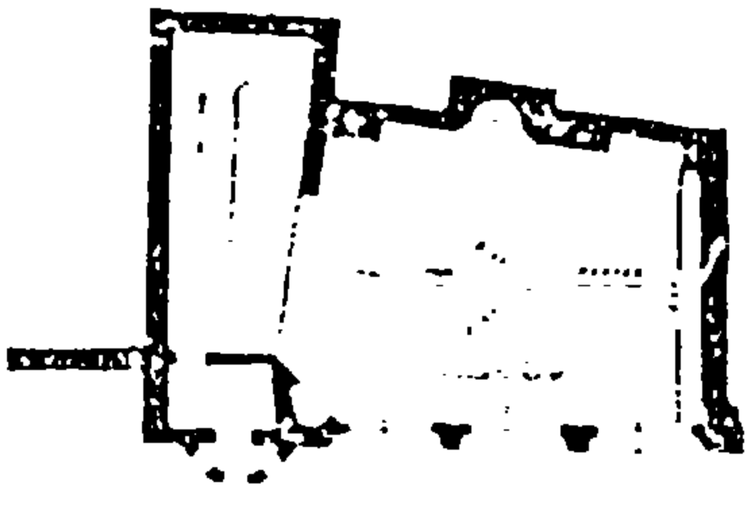

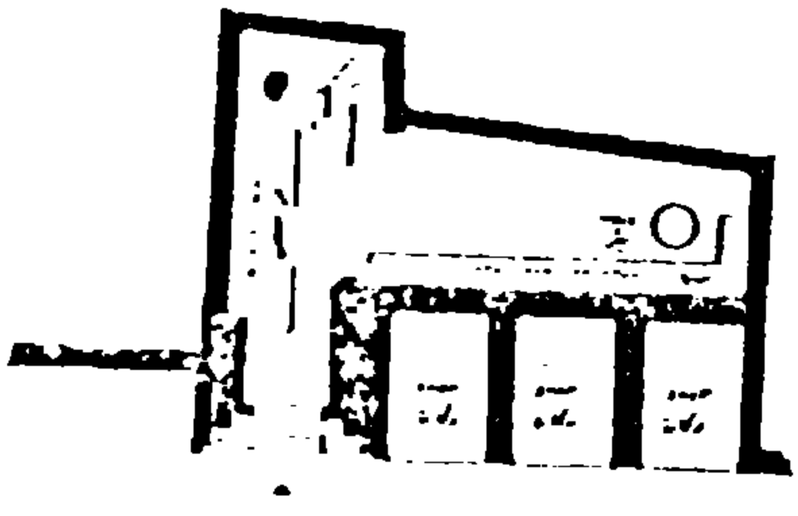

شكل (٢٨) : المسقط الأفقى لزاوية الأمير عبد الرحمن كتخدا
(ا) الدور الأرضى .
(ب) الدور العلوى (بيت الصلاة) .
(عن : كمال الدين سامح)

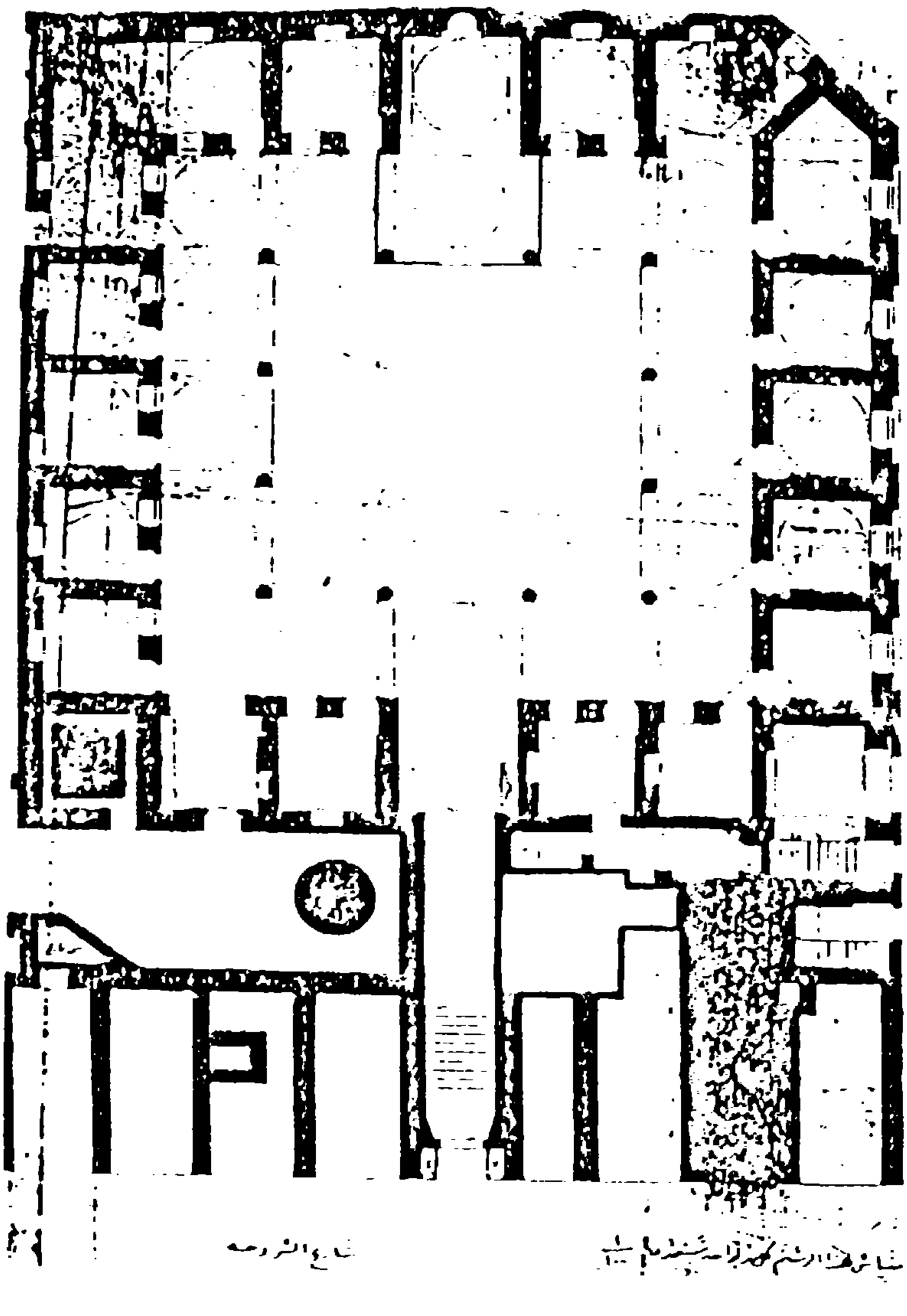

شكل (٢٩) : المسقط الأفقى للمدرسة السليمانية

(عن : هيئة الآثار)